

AL-SIBA'I

MASRA'

AL-LIWA'

RE

[illegible]

Princeton University Library

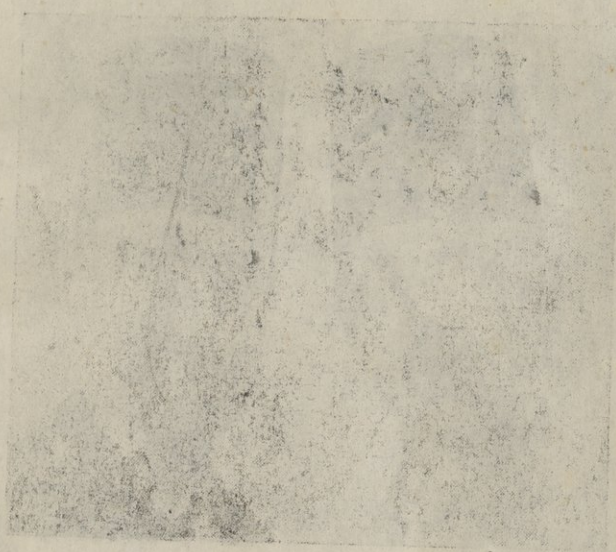


32101 072235524



يرى النقاويء الكريم رسم النبيل وجيهه علي أديب زعيم
 جيله الاوحد والى يمينه المقفور له عيد الله نجل
 الوجيه المحبوب، وجيهه بك، علي أديب وهيسو فقييد
 العلم والوطن.

72/2



وہو سہارن پور میں رہا جس نے
وہو سہارن پور میں رہا جس نے
وہو سہارن پور میں رہا جس نے
وہو سہارن پور میں رہا جس نے

الى منبع الفضل ومطلع الكرامة ، الى المنار الذي يهدي
الحائرين ، وينير الطريق للسالكين ، الى الذي رسم للناس سبل الفضل
والاستقامة ، واقام لبناء المكرمات أقوى دعامة ، فعدا حديثه على
اللسنة أحلى من برد الندى ، وبات ذكره في القلوب الذّ من
الرحيق المختوم لمن كواه الصدى ، الى الذي نالت به « جبهة » فضل
السبق على البلاد ، واضحت طمعاً في جوده ورغبة في عوارفه مشابة
القضاء والرواد .

الى الذي ضرب من الجهاد بسهم وافر . وترنحت بذكر محامده المحارب
والمنابر ، فقرت به عيون الفضل والجود والكرم ، وصار للظالمين الى
المعرفة كالمفرد العلم . الى البطال الاروع ، الذي لا يتراجع عن مطالبه
ولا يتزعزع ، الى السابق لكل فضيلة ومكرمة ، والمجلى في ميادين
البطولة والملحمة : الى السيد وجيه علي اديب أهدي هذا الكتاب وما
هو الا هدية التمر الى هجر ، والوشي الى الزهر بل ماهو الا جهد المقل
يهدي الى المكثّر في كل مجال ، ومن استوى على عرش المجد والكمال ،
فكان حديثه سحرا حلّالا ، وماء تميزاً زلالا ، وانا ذا اقدمه الى صاحب
المحدد الاثيل والمجد النبيل ، انما افعّل ذلك محفوزا بدافع من دوافع
الاعجاب بمن قلت فيه :

يارافعاً للعلا والمجد بنيانا	حيرت كل فؤاد فيك واهانا
لوان للمجد انسانا يمثله	ما اختار غيرك للتمثيل انسانا

al-Sibā'i, Khalil

خالد السباعي

Masra' al-hiwā'



أن الشعب العربي بحر لحي ،
يمور في غياة الأعماق باضطراب
خفي ، حتى إذا ركب اضطرابه
غوارب الماء غدا صاخبا هائجا ، فلا
يدع سفينه تجوس خلال الأمواج
الا وهي فريسة لنياهب الأعماق .

(RECAP)

2274

.8797

S3

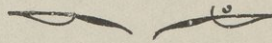
.362

إليك... إليك

أيها الأستاذ زكي الأرسوزي ، وإلى رفاقك
اللواتيين المشردين في الأرض .
أهدي هذا الكتاب .

فيليب السباعي

حمص - أيلول ١٩٥٠



٨-٢٥-٦٨ ١٥٨٥

شماره ۱۰۰

مجله علمی و ادبی

دوره دوم

شماره ۱۰۰

مجله علمی و ادبی

دوره دوم

من غوارب الجبل

أرأيت الى طود راسخ اشم ، جاور وادياً عميقاً مربيعاً ، كيف
يعتز بسمو ذراه انوفاً ، ويطاول مسارح الغيوم شماخا ، ويهزأ بكر
الايام كأنه الدهر متجسداً بجلاميد الصخور .

هكذا رأيت جبل (حبيب النجار) يتناول للسماء معتزلاً نفوراً
بابائه المتجسد في شبا الصخور ، ويرنو الى نهر العاصي واجماً وهو
يخترق أطراف سفوحه عسوفاً طائياً ، كفاتح جبار يتعسف الديار ظلوماً ،
فيشطر مدينة انطاكية شطرين عظيمين لا واصل بينها سوى جسر قديم ،
ثوى فوق مسيل الماء قعيداً منذ كانت دولة الرومان مرموقة
من أعين التاريخ .

كذلك رأيت كيف دفع الجبل سفوحه بعثو الى بعيد ، فانداحت
رويداً رويداً نحو الشرق وبانحدار ممتد ، ثم تنكبت مبيلها باتزان وقور ،
وجنحت الى الشمال قليلاً ، فاحتضنت المدينة بخنان بريء ، ثم تعالت عليها
باستكبار شامخ ، وحجبت عن هاماتها مرأى جمال الشروق ، فتبدت
المدينة وهي نائمة في أحضان السفوح ، كطفلة جميلة وادعة هجعت
قريرة العين في حضن مربية حسناء .

فاذا كان لك في مطاوي الغيب موطن قدم فوق غوارب جبل (حبيب)
فسرّح الطرف مباحاً في اتجاه الأفق الشمالي تسريحاً صقر صيود ، تر
دنيا تكاد تنطق جذلى من شاخحات (اللكام) ، وعظمة طاية خرساء ،
جثمت ركوداً في رموس اليافاعات ، وصروحاً نضيرة خضراء طامرة
بالحياة ، زاخرة بمهابة الغابات ، وقمماً تتشزع للسماء ، وتنوء صائفة بركام

الثلوج ، وتستشرف مدى الأفق البعيد ، ولكن تتضاحك فرحاً حينما تستقبل شمس البكور ، وتتشاجي أسفاً عندما تشيع شمس المساء .

كذلك ترى كيف ان النهر ينطلق من المدينة أسفاً كئيهاً ، كأنه يشعر بنهاية عمره بعد مطاف طويل ، وينساب في حنايا الوادي رويداً رويداً كأنه يريد إطالة جريه زماناً ، أكان يستمتع بمنظر أشجار الصفصاف المبعثرة على ضفافه هنا وهناك ؛ والجائحة اليه بشوق أعصابها النضيرة ، تقبل مياهه باستحياء جميل ؟ أكان يتلذذ بمراى عرائس الحور كلما تمايلت بالنسيم وترنحت بعصف الريح ؟ أم كان يستأنس ببساتين الوادي وهي تحبو ومسيله حبواً هادئاً حتى تدرك سيف البحر ؟ لست أدري لم كان النهر يتشاقل بالمسير ! ولم حبت معه بطاح البساتين تشيعه بخشوع عبران وهو يتصوب الى البحر يائساً كئيهاً .. أجاها وعي من الحياة ، فأدركت مالمعاصي من فضل عميم على أرض الوطن العربي ؟ اذن كيف رافقته حسرى الى مقره الاخير ؟

فاذا ولجت مدخل المدينة وجدت على الضفة الشمالية قصرأ منيفاً أقام مهوباً كهابة معبد أثري جاور نهراً مقدساً ، مع ان الزمن كراً على شبابه دهرأ ، فذوى رونق بنيانه النضيد ، وتخضبت جدرانها البيض بنقط سود ، ومالت الى الشحوب من كثرة ماناء شاتياً بتضارب الأعاصير ، ومن شدة مالفحته صائفاً هواجر القيقظ المحموم .

* * *

وترى كيف ان القصر فسح امامه مجالا رحباً لحديقة هزيلة ، كانت في غابر الايام طروبة غناء ، ولكن يد الاهمال عبثت بنضارتها من زمن بعيد ، فأفقرت من زهو الجمال وأمعرت من نشر الازاهير ، واعتري عرائش وردها الفواح ، وخمائل نسرنيها المعطار ذبول مقيم ، فذوت كاسفة حزينة وهي تتسلق هياكل العرائش ، وترسل الأغصان الى الأرض عطشى وتنتظر غيث السماء ، ومع هذا ظلت الحديقة تزدان بدوح

غابي وريق ، انتصب حول سورها فكساها حلة سندسية من وشاح الغابات .
وكذلك تجدد بعيداً عن القصر ميلاً او ميلين رابية خضراء نمت
صروحها بعرائش الكروم ، ووشّت دروبها بأشجار الغار والزيتون ،
واحتضنت في جوفها رميم أسرة صغيرة ، كانت تتألف من أب وأم وولد
دفنوا جنباً الى جنب في قبور بيض ترنو نحو القصر بوجوم كئيب ، وتكلم
وهي خرساء شاباً عربياً يسمى (مصير) كلما أتاها زائراً مطيفاً وهذا ،
هو الوريث الأوحـد للقصر والرابية ، والبقية الباقية من فواجع هذه
الأسرة بمأساة اسكندرون .



مراتع الطفولة

ما كادت الظهيرة تنجح الى الزوال رويداً ، حتى كان (مصير) ينتصب فوق شرفة قصره بشرود ، وفي عينيه بريق غيظ مكبوت ، وعلى وجهه سورة كبرياء جريح ، وهو يرسل الآهات هائمة في الفضاء تارة بعد أخرى ، ويسرح الطرف في انسياب بسانين الوادي هنا وهناك ، حتى اذا رأى اطيافاً من ذكرياته تتلاعب مرحاً في كل منتزه جميل ، بعث اليها سلاماً مع الريح . وهكذا استمر مسترسلاً في شروده العميق ، حتى امتلأت نفسه مشاعر من ذكرياته السارحة في حنايا الوادي ، استرد طرفه مخضلاً بالدموع ، ورنأ الى الحديقة رنوات كسيرة كاسفة ، كانت تنتقل من شجرة الى اخرى ببطء وتوان كأن له عند كل شجرة ذكرى . . . حتى اذا احيا في نفسه غابر طفولته طيشها من جديد ، بتأمل واع للحياة وباستغراق ذاهل عن الحياة ، فقدأ طفلاً أبيض صغيراً ، وتراءى له طيف اخيه القتيل يرتع تحت الاشجار ويراشقه حبات (الزرنخت) ويمدو في رحب الحديقة ضاحكاً ، ويختبئ وراء خميعة النسرين ويناديه قائلاً بصوت وديع : اين انا يا مصير . .

وها هنا اعتراه حزن صامت ، وحن الى طفولة الخميعة فتلهل الدمع في اهدابه مرتعشاً ، ثم ما لبث أن تحدر من اعلى الشرفة بسكون ذاهل ، وطاف بين الاشجار على هون ، حتى اذا اتى خميعة النسرين وقف امامها بخشوع رهيب كماهبد في محراب ، يرسل اليها النظرة تلو النظرة ، والزفرة تلو الزفرة ، ثم هتف بصوت شجي (اين انت يا سمير . . .) واتكأ على شجرة ، وسرح في انسياق عالم من ذكرياته حالم ومهيب . . . حتى اذا تذكر انه على اهبة السفر تامل متبرماً ، وناجى الحديقة بصوت جريح :

[أي مراتع الطفولة ! أبك حياة تتكلم ؟ ! أبك حنان
يتلف ؟ . فمالك لا ترفين علي رفيفَ اجنحة الطيور ؟ فأنا النازح
عنك الى بعيد ، ولم لا تدعين أغصانك النضيرة تتعاطف علي حناناً ،
وتعانقني عنقاً ام روم فارقت وليدها الوحيد في شراع يمتد عبر
المحيط ؟ فان أبي وأمي وأخي من سكان القبور ، ولم لا ترسلين الحفيف
نغمات عذبة لذيقاً كهمس المحبين ، ليسكن في سمعي عمراً ويدوي دويّاً
صاحباً ، كلما هاجتني الذكرى الى ربوع اللواء . فترأت له الاشجار
وهي تميل في عصف الريح ، وتترامح شجوا كمنسوة ثكالي يندبن قتيلاً ،
فارتعش راجفاً وهتف مثلاً : مالي اراك تتناوحن اسي وحزنا ؟ أنت في
حداد علي مصرع اللواء ؟ أواه كلانا ذلك الشاكل المكلوم ، فمن لي
بمؤاس ، يودعني الوداع الاخير . . .

وتذكر الراية الخضراء ، فانطلق من الحديقة ساعياً اليها ، وتسئم صرحها مرتعشاً ،
وجثم أمام الرموس راكعاً يرسل اليها النظر خاشعاً ويناجي اخاه بصوت أبح :
« اي سمير ! لقد قضى الأمر . . . وصرع اللواء غيلة بيد الخيانة
الفرنسية في هذا اليوم (١) الا تسمع كيف يجلجل الجيش التركي
زاحقاً في وادي (ميلان) ؟ فهنيئاً لك اذ أنت غير سميع ، ولكنك سوف
تستمع في آتي الزمان الى صوت عربي جديد ، يخاطب عظامك النخرة
قائلاً : « طيبى مقاماً فليس في ارض الوطن العربي مقام لغاصب
او دخيل ، فاني سمعت ارواح شهداء اللواء تتهاشم قائلة : سوف تستحيل
عظامنا في اجواف القبور الى غرس من نور ، يطاول السماء وهاجاً من
عام الى عام ، فيهدي الجيل العربي الجديد الى ثغور اللواء ، فتم مطمئناً
هادئاً فانك لعل ميعاد وميلاد الجيل العربي الجديد .

« أي سمير . . كم كنت أود أن أغدو وإياك بداية ونهاية لمأساة العرب
بمصرع اللواء ، ولكن تلك هي مشيئة الأقدار ، فلن تراني أقف أمام رمسك بعد
اليوم زائراً ، وها أنذا راحل وافواج الزاحلين !

١ - اليوم الخامس من شهر تموز سنة ١٩٣٨

الحقيبة السوداء

استشرف الفجر مدينة حلب مشرباً بجيده للسماء ، ومشى اليها الهوينى
تحتال ناشراً جناحيه في الفضاء ، ويرسل اليها رعشات الأضواء
فتزهو مغمورة بافترار الصباح ، حتى إذا خطر عليها جذلان طروباً ،
أودعها بكورة رطيمة منعشة ، وراح يزحم بقايا الليل أينما اتجه وسار . .
هنالك استفاقت المدينة تنعم جذلي بوديعة الفجر ، حتى حبت الظهيرة
رويداً الى عرش السماء ، فأوصبتها بحميّ رعناء من قبط لافح حبس
الريح الرطيب عبر الأفق البعيد ، وأمّ العصر والريح حبيس ، والجو
يلثت تبعاً من امتداد المهجير . . فلاذ هواة الراح بالحدائق الغناء ،
يبتردون تحت ظلال الدوح الناعم الوسنان ، كذلك لاذ (مصير) بحديقة
(الشهبندر) حرّان متعباً ، وراح بتقياً ظلاً لطيفاً امتد وارفاً تحت
أفنان دوحة وسنى وفوق مائدة متواضعة ، أقفرت من رنين الأقداح ،
وانتبتت من ربح الحديقة ركناً منعزلاً خلا من ضوضاء الرواد .
وكأنني به وهو جليس نفسه في سكينه شاردة ، وفي عينيه بقايا
حلم مظلم مربع ، وامامه حقيبة صغيرة سوداء ، يرمقها بنظرة وامقة
من حين الى آخر ، ذلك انه دفن في مطاويها المظلمة شطراً حياً
من نفسه مازال يحن اليه حينئذ ملتاعاً ، لشدة ما كان يتحمل
مسئولية وجوده كهربي ، ودياني مصرع عروبه ويكابد فري قلبه
الجريح ، كبطل تفهم واقع الحياة فتمرد عليه متمرداً ، وسما فوقه سمو
عظيماً ، فازدلف إلى مصيره الأليم مقدماً . وكان ينظر الى الوجود
نظرته الى مأساة فاتكة ، حتى تشام منه متبرماً فكان تشاؤه مبدعاً

خصيصاً ، يريد هدم حياة وبناء حياة .
تلك هي حياة مصير إبان حوادث اللواء ، ترقد في مطاوي هذه
الحقيمة السوداء مدونة بمسودات رسائل عديدة ارسلها تبعاً الى صديق
له أقام في مهجر العرب في البرازيل .
وها أنذا أدع مصيراً في مكانه من حديقة الشهبندر ، وأدحو لك
هذه الرسائل في وريقات هذا الكتاب دحياً ، لتستشف من خلال
سطورها السود كيف نزلت الحوادث هوجاء بساح اللواء .



القسم الاول

صوت من وجدان الأم

منه لواء اسكندرون الى صهاجر العرب في البرازيل

أرأيت الى الزنقة الصفراء تركد في الكأس السوداء ، ويدب اليها الذبول شيئاً فشيئاً ، وهي تنفخ النسيم بشذى عطرها نفحة تلو نفحة ؟ فكيف بها اذا ادركها الذبول بغتة تمام نومة أبدية وترك بقايا نشرها ودبعة للنسيم .

تلك هي صورة أمي الشاحبة العجوز ، تقبع في زوايا المخدع بشياب سود ، وتداعب بأناملها الضامرة سبعة سوداء وتعيش التأمل الشroud ، وتحلم احلاماً غانية ، وتتمتع بالداء صباح مساء ، كواجـد صوفي جنح الى الوحدة زاهداً بالحياة ليتأمل الحياة .

فمنذ نفر اخي الى الريف العربي بحمله تعليمية ، وهي تساهر الليل في الحديقة وتسامر حفيف الأشجار ، كأن الليل يسمو بروحها جواً فجواً ، حتى تتداني من المـلاء الأعلى تبثه شكابتها حسرى ، فقد كانت تشكي من همس باطني خفي ، يدوى في أعماقها دوى الأعاصير قائلاً : (ان حياة ابنك تقترب من النهاية)

وطالما أوحيت اليها مراراً وتكراراً ، ان حـدسها وليد رواسب دينية استفاقت بنفسها أوهاماً ترهقها بالهواجس الحقاء ، فما كانت لتؤمن بقولي ، او تطمئن اليه قليلاً ، بل ظلت تطارد نفسها بنفسها دائبة في متاهة من العذاب .

وفي هذا اليوم ولجت مخدعي باكراً ، وحول محياها هالة كآبة حارة ، وفي عينيها سهر نام على أجنانها نوماً ساكناً ، فتكسرت أهدابها

تحلم بدنيا الوسن ، ثم ترامت علي تقبل جبيني بحنان مرتعش وتقول
 صوت مخلص (ولدي ! سافر الى الريف وائتني بأخيك ، فاني أخاف
 عليه من دواهي الأعداء) قلت ايضاً وسمير هنا بعزل عن شبا القدر العاني
 آتت الى نفسها تفكر بوجوم ، والدمع يتهافت من عينها مستغيثاً ، ثم
 هتفت قائلة : (أواه ! لا أدري . . . فرحة بي وشفقة علي ، سافر . .
 سافر) فقاطعتها بقسوة قائلاً : حسبك لن أستطيع ، فماتت بحيرة بليدة
 وشخص طرفها للسما ، ومشت كسيرة القلب حسري ، ومشى طرفي
 يشيها وامقا ، وأنا حائر لا أدري كيف أحد من حنانها السليط ،
 واسترقها استراقاً من يقظة أوهامها المصنية ، ثم سمعت اليها بقلب أبيض
 سعي اليها رضيعاً ، فوجدتها قائمة للصلاة تهجد بآيات الكتاب بصوت
 رخم ، كانت نبراته تنسرب الى أذني كترنيم ملك هبط الى
 الأرض سجّراً .

وها هنا تبدت لي قديسة طهوراً امتثلت للصلاة أمام تمثال العذراء . .
 فوقفت مكاني مأخوذاً وطرفي لا يرم عنها ابداً ، وهي تبسط يديها للسماء
 وتناجي ربها برجاء متضرع خشوع : (رب اني امرأة هرمة او هن الدهر
 قواي ، فلا تفجمني بولدي كما فجعتني بأبيه من قبل) فتراى لي والذي
 في صروح جبل الزاوية ثائراً ، وكأنه يُصرع أمامي جريحاً بقذائف الجيش
 الفرنسي ، فارتجت نفسي بالخشوع ارتجاجاً شديداً كحصن مسه زلزال
 ودنوت منها بلا ارادة ، وهتفت بشعور عفوي : أماه ! طيبي نفساً واهدئي بالاً
 فاني سأتيك بأخي غدا .

وحين خرجت من الصلاة لاهثة من التعب ، رأيت في نظراتها الوداعة
 بريقاً غريباً ، خلته وميضاً ملائكياً انبعث الي من حنان السماء مشرقاً من
 أهداب أُمي الرؤوم .

مسراي الى الريف

اتسدري لم اخترت الليل ميعاداً لمسراي الى الريف ؟ ولم انتصبت
بشروء أراقب القمر وهو يجنح محمراً الى الافول كالخنجر المغموس
بالدماء لسكي ارى الليل بوسق ذرى جبل حبيب تحت جناحه الحالك الرهيب،
ويتهور الى وادي العاصي مروعاً ، ويتوسد بطاحه ساجيا .

وانا لم اكن لأمتطي صهوة جوادي الايض الجموح مسافراً ، الا
والليل يدرعني بجلبابه المحلوك الخيف ، فكأن الليل صاح بي قائلاً:
سر في سبيلك قدماً فقد اذنت لك بالمسير ، وما كدت آسير بانسياق
شارع باب الجسر مدي يسيراً ، حتى اوغل الضباب بالمدينة زاحفاً ومكث
بالشوارع طباقاً ، يؤاخي حلك الليل ويمانقه بصمت رهيب .

فلو رأيت كيف كانا معا يهاجمان المصابيح باغباش كثيفة ، وانوارها
تقلص من امتدادها الى بعيد ، وتير ما حولها بنور غصيص ، لهتفت
قائلاً : يا لشقاء النور العاني بحلك الليل وكثافة الضباب .

كذلك لو رأيت كيف كان جوادي يختطف الدرب من الأرض ،
ويجري جرى الرياح الهاربة من ادغال الغابات ، مشرّع الرأس غازياً عمق
الليل ، بقديح ناشط ينبث من طرفه الناري ، خلته شراعاً ابيض
صغيراً ملاحه مارد من الجف ، وهو يضرب به عرض بحر لحي زاهر
بالظلمات .

هكذا كان جوادي يعدو خطفاً وانا سادر ذاهل ، لا ادري اي قرية
اقصد ، واين أجد أخي سمير ، حتى احجم وازور وصهل ، وضرب الارض بمخوافه
ضرباً شديداً ، نقر الدهول من نفسي فوراً ، فاعتراني خوف فاتر ، فارسلت طرفي

رائداً غيب الليل فردّه الى حسيّرا ، فجمعت اناملي وراء اذني التقط
من الفضاء الاصوات الشاردة ، فلم اكن اسمع شيئاً ، حتى ولا حفيف
شجرة تعاني عبث الريح ، كأن الريح قد نام او كأنه يتفعل النوم خداعاً ، أ كان
لا يريد أن يروع بهزّيه العريد صمت الليل ؟ أ كان لا يريد أن ينهه
بتياره العنيد مراقدا الضباب ؟ لست ادري لمّ جنح الريح الى السكون .
وهنا كدت ارتد من حيث اتيت ، لولا اني تذكرت وعدي لأمي
المكزّت جوادي بقسوة فتراجع الى الوراء قليلاً ، ونزّابني نزوة جاحجة
فأدركت من وقع حوافره على الارض ، إنه قفز إلى صعيد قريب طري ،
فجاذبته العنان بشدة ، فحمد مكانه يحمحم حمحات جرّحت هدأة الليل ،
فترجلت عنه فوراً أحرق بالارض تحديقاً حاداً ، حتى تراءى لي بصيص
ماء يتماوج كالمرآة السوداء ، فتيفقت اني نزيل غدير مجهول ، وأني ضليل
الليل ، فتساءلت بحسرة مريّة ، اين انا من الليل . . . ؟ أين انا في
الظلام . . . ؟ واتكأت على جوادي اقرب من الليل ، وأعاشه ككأن
حي ، ولليل بنفسي حياة عميقة الجذور فأنه معين احساس فياض
يروي نفسي الظمأى أتأمل واع يقف ثابتاً امام أحداثني في الحياة .
وهكذا كرّرت علي الساعات تترى ، الى ان عسعس الليل ، وتنفس
الفجر ووثب الى السماء يتألق بتباشير النهار ، وهب الريح طائفاً
يكش مراقدا الضباب ، ويبعثرها حائرة هنا وهناك ، حتى اذا تبدى لي من
بعيد هيكل قريبة صغيرة كانت تنام على تل شامخ عشب ، جنحت اليها
والشمس تودع الافق بنظرة حسرى ، وترنو الى عرش السماء رنوة جذلي .
وهناك قيل لي ان مفارز من الدرك السوري طافت قرى
الوادي ، ولملت افراد حملة التعليم بقسوة ضارية وتعذيب مريع ، وآبت
بهم ليلا الى انطاكية مطوقين باسنة الحراب . . . وهكذا آبت
حملة التعليم الى مستقرها أوبة السيوف الى اعماقها بعد ما تراقصت
طرباً تستقبل قتلاً نبيلاً .

انين الدوح

استرقتُ وعيي من النوم باكراً ، وأنا احس الأسى ينسلُ المسرة
من نفسي نسلاً ، فتفتتح للتشاؤم حسرى ، كبرعم ورة يبضء يفتتح
للصقيع ، ولا أدري لذلك سبباً ولا أين امضي بنفسى حتى مضت بي الى مخدع اخي
فالقيته نائماً وعلى ثغره ابتسامه نائمة ، فأودعت بحياه نظرات الحنان، وغادرته
تواً الى الحديقة ، اروح واغدو بين عرائش الورد وخمائل النسرين
كاسفا كئيها ، والنسيم يخطر فوق ازاهير (الغريب) هادئاً فترتش لخطره
ارتعاش جريح محموم ، يتقلب موصبا بحمى الجراح .

وفجأة هب الريح شمالياً عاتياً، يحمل برد الثلوج القابضة على ذرى (الكمام)
وبعصف بالدوح عصفاً عنيفاً ، ويدور حوله بعويل صاخب شديد ،
ويتغلغل بين هياكل الاغصان صافراً ، والدوح يمد هائجا كالجنون ،
ويتعرض صارخا كالجريح، ويجود بأوراقه جزافاً ، فتساقط هنا وهناك
طائشة كنديف الثلج في دوران زوبعة هوجاء ، وتتقلب على الارض
حيرى ، وفيها من الهزال ضموره الحزين، ومن الموت اصفراره الخفيف.
وحينما كان غضب الريح يسكت عن الدوح قليلاً، كنت اسمع له انينا
خافضاً فأسائل: كان الدوح يشتكي عبث الريح؟ ام كان يث انينه معبراً عن مدى
آلامه وهو يتعري شيئاً فشيئاً من قميص الربيع ؟ ام كان يتوشح بوشاح
الخریف حزينا ؟ ام كان يتحسس قسوة الريح الموصب ببرودة الثلوج ؟ فيتألم
ملهاً لا يرسل شكواه انينا خافتاً . اني لأخال للدوح دنيا من الاشجان،
ولكن لست ادري الى اى مدى يشعر بمآسى الوجود .

وهكذا كنت افكر بمآسى الدوح وما ينتابه من تعب وعناء، وكدت

استغرق في تفكيري لولا ان نعمة شاردة بين هياكل الاشجار تنادي
قائلة مصير . . مصير . . فتلفت الى القصر فرأيت أمي تطل علي من
النافذة بوجه شاحب عبوس كوجه الخريف وتقول بصوت واهن ضعيف:
استرق اخوك نفسه بغفلة مني وتسلسل هاربا ، ادر كه ولا تدعه يواكب
صخب المتظاهرين فجئوا المدينة مهتاج ومحموم . . .
فانطلقت مسرعا افكر بأخي واكبر اتجاهه القومي اكباراً فانه آمن
بالقومية العربية ايماناً شديداً غيبه عن مأساة الوجود فغابت عنه الى حين .



نزوة السيوف

ماكدت اقترب من ساحة الجسر حتى دوى باسماعي صخب النظار
الشعبي دوي السيل متهوراً من أعالي الجبال متصبواً الى مسارب الوهاد ،
فأخذت اتخيل كيف أن الشعب العربي ينزو الى قراع الجند الأفرنسي
نزوة السيوف من اغمادها في حلك ليل دامس بهم ، وأحث خطاي على
المسير حتى ادركت ساحة الجسر وهي تزخر بالجموع كالبحر في تراخه
بالأمـواج .

أرأيت الى الأسد يتحفز للوثوب غاضبا ، كيف تشتعل في دمائه
حمى من الهيجان ؟ وكيف يبدو مهوباً مروعا ؟ هكذا كان الشعب
العربي ينتصب لنزال الجند كالأسد متحفزا ، ويموج مزبداً كالبحر
هائجا ، ويترنج راحماً كالبواسق في يوم ريح عاصف ، وتتصارع بأصوات
مرعبة كصليل السيوف ، تدوي قائلة « الموت لمن ؟ لقرار جنيف !
الموت لمن ؟ المستعمر الخئون ! حتى اذ الهب حماسة مستهترة بالموت ،
بدأ يناوش الجند مكرراً مفراً وراشقه جذوات المتفجرات . . .

أرأيت الى الجو غامماً مكهرباً يهتز بقصف الرعود ؟ كيف يرمي
الارض بصواعق طائشة تنقض هنا وهناك ، هكذا كانت قوى الجيش
الأفرنسي تنازع الشعب الأعزل هوجاء كالسما الغضبي ، وتقذفه بجمم طائرة
تبرر بالفناء بربرة الأسود في الغابات . وتزحف اليه بجلاييد من الحديد
تمور بالسعير ، وتتصارع بالسنة من لهيب ، والموت يتقدم زحفها راحماً
رحمة البرق فوق اديم الغيوم ، ومدثراً بعلم المدينة الأفرنسية ، وهو
يجندل شباب العرب صرعى وجرحى . . .

وكأنني بتلك الساعة الرهيبة الدامية ، أخوض لحج هذا الهول
ذاهلاً عن الموت ، وأرى أخي حميلاً على أيدي صحبه ودمه ينزف غزيراً .
فأقف أمامه مخملاً كالأطائر الذبيح يترنح بالنفس الأخير حتى تهاوت قواي
ومادت بي الأرض فلم أعد استطيع الوقوف ، وكدت أغيب عن الوجود
لولا ان همسة أسرت في اذني قائلة : تجلد تجلد . . . فقتيل العرب
بمواقع الاستشهاد ليس بقتيل ، بل هو حي في دماء الجيل العربي الجديد .
وكذلك أُمِّي شاهدة صميراً محمولا على الأكف ، فصرخت صرخة
ذعر شديد وانتفضت انتفاضة المحتضر في النزع الأخير ، وهوت على
الأرض هوي شجرة حطمتها العاصفة وتركت فيها بقية من حياة .



احتضار السيف

همس الطبيب بأذني قائلاً بأسف مرير : لا أملَ لديّ بشفاء أخيك ابدا ، فمشعل حياته يخبو رويداً رويداً ، ولم يبقَ له من الحياة سوى دقائق معدودات ، ثم يرسل النفس الأخير أبيض للسماء .

فدنوت من سريرهِ اسوانَ كثيلاً ، واودعت بحياه رنوة عبرى ، وهو يجود بحشاشة روحه هادئاً ، وقد انتصبت حواليه صفوة من رفاقه بخشوع موحش رهيب ، انتصاب التماثيل ، ولكن بوجوه كظيمة مسودة من حلك غيظ مكبوت ، شابه حزن بالغ محرور ، وأعين شاخصة اليه بنظرات خرساء كادت تهمني بالدمع الهتون .

وما أن فاه بصوت واه يتأدي « أماه أين انت : حتى حدثتُ عليه والقيت بأذنه همسة ناعمة ، أردتُ لها وجهه اربداداً وتحرك ثغره يتمتم بالغموض وسكت مسكوناً مديداً ، صدره يعلو تارة وينخفض أخرى ، وهو ينظر الى الوجوه بطرف زاحف كان يتنقل من وجه إلى آخر بعناء حتى اذا نظر اليّ نظرة مستطيلة تهللت اهدابه بدمعة ناطقة وفاه بكلمات متعبة ، تسالت من فمه باعياء ، وتلاحقت حروفها وراء بعضها ببطء وتوان فتجمعت بأسماعنا وكانت . . . وداعاً يا رفاق . . . وراح يئن أنيناً متقطعاً كان يتدرج من انة لاهته ، الى انة خافتة ، الى انة خفيضة . . حتى مات أنينه وسكن صدره ، وتبلور بصره شاخصاً للسماء .

هنالك خاض الأسمى نفسي يفتش عن صورة أنجلي بها على الداس بغير الدموع ؛ فلم يجد الا السكون الموحش الرهيب ، فدثرني بدثاره الكثيب ، وكان موقفي من الموت فيه كتابة من كتابة الصخور

السماء وفيه سكون من سكون الجبال الجرداء . وأما صحبه فقد اجهشوا
بالبكاء ، وأفراط به البعض ، فكان عويلا وكان نحيباً وكان ندباً مرأً
كندب النساء الثاكلات .

وهكذا شيعت دموع الأسي وصيحاته المتعالية روح أخي الى الملاء
الاعلى ، فتركت أمي طريحة الفراش تعاني جنون حمى دماغية ، وتهذي
من حين الى حين « ولدي سمير » . . رباه اين سمير أقتل . . ؟ ام
هو جريح . . ؟ رباه أهو ما زال حيا . . ؟ .

* * *

تلك هي مأساة وجودنا كمرب بدثارها الاستعماري قد مثلت بأخي
جنون الحياة ، وهاهي تلهو بمصرع أمي وتنصاحك مني قائلة . . هكذا
أنا . . أفهمت من انا ؟ أنا عذاب وييل . . فهل لك ان تناصبني
المداوة والبغضاء ؟ ان فعلت . . فأنت عربي .



مثنوى البطل

ما كادت الضحى تقترب من الهجير قليلاً . حتى تواردت عليّ
أصحاب سمر زمراً زمراً ، وتجمعت حول جثمانه بصمت خاشع مهيب
تنظر إليه نظرات خاشعة غنية بوميض الاكبار والتمعظيم . فما كانت
لترسيم عنه ابداً لولا ان شاباً صرخ قائلاً « ان سميراً كان فينا كالسيف
ماضياً وهماً قد غاب عنا غياب السيف الكليل في ظلمة غمده
مخضباً بالدماء ، فهل لكم ان تكرموا مثواه وهو دفن بالتراب ؟
وقال آخر أجل إنه لجدير بالتكريم والتبجيل ، ألم يستقبل الموت بطلاً
مقداماً ، وقال آخر . . . لنشد له قبراً شاهقاً عند مصب العاصي يطل
على البحر وهو يقارع بأمواجه الهوج جلاميد الصخور ، لكي يرمز
قبره الى الصراع الأبدى بين البحر والصخر ، فقد كان بنفسه دقات جاحات
من عناد البحر ، وبأس أصم من صلابة الصخر . وقال آخر . .
« واروه في أعلى ذروة من جبل حبيب ، يطاول إباؤها مسارح
الغيوم ، لكي يرمز مقامه لسمو السماء وانفة الجبال فقد كانت بنفسه
قبس من هدى السماء ونفحة من شمم الجبال .
وقال قائل « ادفنوه في كنف الجبل ، واغرسوا حول ضريحه
نخيلاً كثيفاً يشرع للسماء وارفاً ، كي يرمز قبره للحنين الى مطارح
الصحراء فقد كان يحن الى الجزيرة وربوع الفجر العربي » .
وقال آخر وهو كهل بمواطفه . . أرمسوه ايها شئتم من الارض
وأكرموا مثواه بأفواج من الشهداء ، تتقاطر على دروب الفناء ترى
فاني سمعت حرية العرب تقول وهي جريحة « ان دوائى الوحيد دماء الشهداء » .

هنالك أضيوا بنوبة من الوجوم المفكر السبوح ، وآبوا الى
انفسهم حيارى لا يدرون ماذا يصنعون . . حتى صاح بهم قائل بصوت
جهير : تعالوا الى الراية الخضراء نرسمه الى جانب قبر أبيه ، فقد كان
له ضربا بالشكيمة والبطولة ، فردوه الى منبته الخصب .

* * *

وهكذا شيع جثمانه الى الراية الخضراء بموكب حافل بالهيبة الصامته
والوقار الرزين ، ولحد في جوف الراية والدمع ينهمر من الاعين صبيهاً
كلما انهال عليه التراب حفنة تلو اخرى .
وكذلك لحقت به أمي غداة مصرعه فشيعتها الى
الراية الخضراء بعين عبرى وقلب مفجوع . . وهناك جاور ترابها الكريم
تراب وليدها الشهيد .



الليل العاني

أرأيت الى قبيلة زنجية تتسلل من مدار الأفق رويداً رويداً ،
وتزحف في سهل رحيب صفّاً صفّاً ، والجو غائم عبوس يتجهّم للأرض مربداً ؟
هكذا أقبل علي الليل ؟ يدب على الأرض ديب الاشباح ، وأنا
منتصب فوق شرفة القصر ، وفكري شتيت وطرفي هائم في رحاب السماء
وهي تنوء بغيوم دكناء تغمي ذرى جبل حبيب غياما ، وتلامس الصروح
بأذيال مسوداء تفيض على السفوح ماءً نмира ، والبرق يترامح هائجاً
ثأراً ، وينذر الأرض بعذاب من السماء شديد كأنه عربي جاهلي يعلو
صهوة سابح جموح ويعدو به خطفاً بين المضارب السود ، ويصرخ منذراً
بمقدم غزو هائل مخيف .

ولو رأيت كيف كان البرق يناوش حلك الليل بسهام من نار ،
تتهاوى عليه تترى ، فيتجمع على نفسه هلوفاً بلهجة طرف ، ثم
ينطلق باسطاً جناحيه من جديد ، وينتظر كلمة الرعد ، لأشفت على الليل
حادياً وهتفت متألماً : ربه لم هذا الليل يُرهق بجنون السماء .

ولما رأيت الليل منهوكا مرهقاً ، ينصت ملاملا الى هزيز الريح .
كلما جاس أعماق غياهبه متمسكاً غاتياً ، خلت أني صنو لهذا الليل
العاني ، وهو يكابد جنون السماء وحيدا ، وأنا أعاني وحشة القصر فريدا ،
وكأنني أسمع من الراية الخضراء صوتاً شجياً يناديني قائلاً : أي مصير . . هلم
الى نجوانا مهرعاً فحسبك ارهاقا من وحشة القصر .

ولو رأيته كيف كنت انطلق الى الراية بجاذب خفي ، أدافع الريح
معاندا ويدافعي بعتو ، والمطر يتصبب عليّ غزيراً ويضرب وجهي تضرباً
اهوج شديدا لناديتني مشفقاً : عد من حيث أتيت ، مالك تهرب من
وحشة القصر الى وحشة القبور ألك في نجواها ملاذ مؤنس ؟ فيالك
من بائس معذب عنيد .

نجواي للرموس

أرأيت الى الناسك الصوفي يتعبد متوحداً في معبد مهجور ، كيف
تسري بنفسه رعشات الخشوع ؟ فيغدو اما واجلا من رهبة الكون
واما مستأنساً بمظلمة السماء .

هكذا جثمت أمام الرموس خاشعاً ، كالمتعبد سحراً ، وأنا
اشعر بنفور من وحشة الليل واستأنس بوحشة الرموس ، والبرق
بومض وميضاً ينبهك ظلام الليل فينفذ عن مشواها من حين الى حين
ويرتد اليها مسرعاً ، حتى اذا ناجيت شطور نفسي شطراً بعد آخر احسست
أني في عالم حالم جديد ، هو بالأشجان رائع وجميل ، واليك نجواها
رمساً بعد آخر .

أي سمير : يا قتيـل الظلم . . أكنت تدري من أنت في
واحة الشباب ؟ أنت غرسة من نخيل ، تفتحت باكراً للحياة وتهلت
سكري بقطرات الندى ، وكادت ترسل الفوح منهشاً ، فأثاها لافح من
قيظ محموم فجنحت للذبول قبل أن تفوح . .

فمجبب أن أستاف من تراب قبرك شذى العروبة بكرراً ، أنت فوح
من طليع الجبل العربي العتيد ، ان لهذا الجبل شذى غريباً ، أكنت تدري
أنك من اضرا به المتفوقين ؟ هكذا غدوت أراك ، فهينئاً لك بمصرعك العظيم
وبا لهفأ علي ان لم اأخذ حذوك قدما .

« وأنت يا أماء يا قتيـل الحنان » ! ! أتدريـن ما خلفت بعدرحيلك
عن القصر ؟ لقد خلفت وحشة كثيبة مروعة كوحشة الجبال الثاوية
على دروب الصحراء ، فمن يؤنسي من بعدك وسمير أمسى في ظلمة القبور

أكان سمير في دنياك كوكباً منيراً يهبك روح الحياة ؛ حتى اذا أفل
عن سماءك غاض بهائك ، ونضب معين حياتك وتراميت في هاوية الفناء
كشجرة يابسة تنتظر النار ، فيا أسفا على نفحة من حنانك يا أماء تهب
علي أنسا كلما تجهمت لي مأساة الوجود .
» وأنت يا ابتاه :

اني ما زلت اذكر جيداً يوم جئتنا من مواقع البطولة مدرعا بالقذائف
والحديد وجاءتك أمي تصب عليك اللوم صبا . . . وانت تقول : دعيني اقارع
المستعمر الافرنسي دأباً ، أتحافين علي من الموت ؟ والحياة تهمس بأذني
قائلة : اني لاهب الغصن رطيباً نصيراً ، كي استرده مهشما محطماً ،
وان عففت عنه الى حين ، امسى هيكلاً من تراب يتمشي على تراب ،
وهذا ارذل العمر فلن ابلغ نهاية العمر المردول .

أبت : أتدري كيف تحايل سمير للبطولة ، أرأيت الى الفجر الواثب
الواثب للسماء وراء الغيوم البيضاء كيف يرسل بهاءه احمر كالدماء ؟
هكذا كان ينير علي بضوء بطولته كبهاء الفجر ، ولو رأيت بطلا لاخذته الى
صدرك فرحاً وأنت تقول : ذرية بعضها من بعض فرعها قبس من ذلك الفجر
الصحراوي ، فجر تاريخنا العربي .



مصرع البطل

لقد استلهمت مصير سمير فقال لي وهو صموت :
ان انسراح حياتنا باتجاه الزمن يمتدي من الولوج وينتهي بالانطلاق ،
لذا كان المدى الزمني بين الولوج والانطلاق وجوداً بادراك الحياة الوجدانية
وهذا الوجود يبدو لنا ظلاماً وعدمًا ، ظلاماً كحجرة ليل ، وعدمًا كشراب
يجري في متاهة من ورائها متاهات ، ونحن نوغل في لجج مهالكه كرهًا
ونخرج غصبا ، لذلك وجب علينا ان نعائشه بتمرد جامع اشبه بتمرد
بطل اسطوري ، ونغادره بشجاعة نادرة كشجاعة فارس مغوار ،
ذلك ان الوجود يمرأى الفكر النفوذ مأساة فرائسة ذات نيوب حادة ،
تنهش من طامن للسرور وتفترس من هادن الشقاء .

لهذا كان التمرد على الوجود رد فعل ثائر على مأساته ، فمن كان
ذا روح خنوع يستسلم لمأساته يائساً قنوطاً ، فتقبض على أعنته وتقوده
الى التشاؤم القاحل الجديب ، فيتهاوى قسراً من غور شقاء مظلم الى
درك شقاء عديم ، حتى اذا اخرجته الحياة من الوجود ركلاً وطرداً ،
تعاوى مع نفسه تعاوى الذئاب الجرحى .

ومن كان ذا روح عنيد جبار يتمرد على وضعه متمراً ، ويقارع
مأساته دائباً ، وهو يدري ان له مصيراً واحداً هو الموت ، فيغادر
الوجود بطلاً ويغدو قدوة حسنى للأجيال القادمة .

لنتساءل يا صاح ، لماذا يأبى الروح المتمرد الثائر الاقراع مأساته
وفي قراءها الخطر الاكبر ؟ ذلك ان القراع بذاته وسيلة يعبر بها
البطل عن فيض حيويته وعن مدى قدرته على تبديل أوضاع الحياة
الركود ، وهو يخلق لنفسه بالقراع المستمر امتداداً راسخاً في دنيا الحياة .

فالبطل من يتمرد مقدماً على أوضاع الحياة الملائى بالفساد ، باندفاع واع مهتاج حتى يلتقي ومصيره الأخير إما ظافراً واما مدحوراً ، ذلك أنه يريد أن يخلق وضعاً جديداً لحياة جديدة ، او يترك منهاجاً جديداً للخلق والابداع ، فارادة البطل قبس من شعوره بالحرية وهذا الشعور ينبوع بطولته الجروح ، وهي التي تدفعه دفعاً قوياً الى تقرير مصيره عند هوة الموت ، فيزدلف الى الموت بدافع ذاتي خفي استجابة لارادته ، ذلك أنه يتحسس البطولة تمور بنفسه ، وتتطلب الاتيان بعمل جبار عظيم .

فاذا كان البطل مندفعاً بمجموح طاغ الى تحقيق ارادة مثلى ، تتمرس له المـشـرات الكئود ، فتقوده عاثراً الى نهاية مصيره فيغدو وهو يموت شبيهاً بالنسر الجريح اذ يأبى ان يطير زفيفاً فوق أعالي الأشجار كطائر عادي ، بل يتصاعد بحرحه الميت جواً فجواً ، حتى اذا خارت قواه يتهاوى من كبد السماء الى الأرض ميتاً ، وبذلك يستجيب الى غريزته الفضلى ، ويحقق تمرده على الموت متمرعاً بالتراب كما تموت الطيور الجرحى .

لنتساءل يا صاح ! بماذا يحقق الرجل العادي ذاته في الحياة ؟ اليس باذعانه للحياة الخاملة الكسلى ، وبعطامنته للأساة وجوده ، ذلك أنه يشعر بالوهن والعجز شعوراً قوياً ، فيرى الخنوع للأمر الواقع امرأ قسرياً لا مفر منه ابداً فينساق الى نهاية مصيره انسياق دابة مسلوكة الارادة الى الذبح ، فيغدو وهو يموت اشبه بالفيـل اذا جاءه الموت ، يرتجف هلوماً وينادي الفيلة بصوت أبج لتسارع اليه وتلتف حول مأساته ، كي يلتقي ومصيره المؤلم مستأنساً بعبـرات الآخـرين ، فنبس هذا المصير العديم .

فاذا ظلمت يا صاح بعميداً عن شقاء الوطن العربي ، تستهلك غضارة الحياة فاكهاً فاني ابشرك بمصير الرجل العادي بمصيره هو اللامصير ، فيها اقتحم مهاول الخطوب ، فان الحياة لا تريد من وراء وجودنا غاية مثلى فلم لا نخلق لوجودنا غاية عُزْسى ؟ ، الا وهي تحرير الأمة العربية من العبودية فان لنا بالموت نهاية حياة وبدء حياة .

القسم الثاني

عروس الخليج

إذا كان لك في مجاهل الأيام زيارة لمدينة اسكندرون ، فترى كيف حطها غابر التاريخ في منحدر السفوح نصباً تذكاريًا قديمًا ، يومي إلى عظمة مشيدها الأول (١) ، منذ كان سيد العالم القديم ، وهي ترنو إلى مياه البحر رنوات ضاحكات ، كفادة حسناء ترمق محاسنها بالمرآة بدل واءعجاب ، وتستقبل تزامم الأمواج في رصيف شارع وسيع ، امتد فوق الشاطئ مستقيمًا مديدًا ، يزدان بينان مزخرف نصير ، وثب من اديم الأرض متينا قويا ، يستعد لتضريب الأمواج والبحر هائج عرييد .

كذلك ترى من حولها الحدائق الفيحاء تجري فيها الغدران انسيابا ، وتروي المروج جزافا ؛ ثم تحتضر عند سيف البحر بلا ضجيج ولا عويل احتضار فقير محروم في كوخ حقير ، وترى فوقها الجبال الشما ، تكاد تلامس مسارح السحاب ، وتراقب مخر الجاريات وهن يراوحن ويفادين جريا من معبر الخليج وتخفض من شموخها الصرح تلو الصرح حتى تحتضن بأطرافها مياه الخليج فيبدو بحيرة ساجية ركبت آمنة في بطن واد سحيق ، ومع هذا فهي تلتف حول المدينة غربا وجنوبا بارتفاع شاهق وانخفاض متئدد ، ولا تدع لها منفذا من الجنوب سوى واد مخضوض مربع (٢) كان في غابر الزمان واديا تاريخيا ، شهد زحف الجيش المكدونى الى الديار السورية واستمع الى جلاجلة جيش السلطان سليم غازيا البلدان العربية .

* * *

«١» اسكندر المكدونى

«٢» هو مضيق ييلان

ولما كان لهذا الوادي أهمية حربية تشوفت اليه الدولة التركية بعين
استعمارية جائعة ، ثم جنحت الى عصابة الأئم في جنيف تشتكي زورا من
التعسف العربي على الاقلية التركية ، وتدعي ملكية لواء اسكندرون .
والكن أتدري كيف كان ادعاؤها الخاطل امرا دوليا هاما اهتزت له
دول عصابة الأئم فتمخضت عن قرار جنيف ؟ لقد تم ذلك بالتآمر الافرنسي الدولي
بعد ما امست ندوات جنيف غارا مظالما تأوي اليه ضواري الاستعمار وفيه
تفترس حقوق الشعوب الضعيفة ، وتتناوح عليها مكرا وخداعا ، تناوح
الرياح في أدغال الغابات ، وهي عذابها الويل وبلاؤها المستديم .



قفار وجودي

أرأيت الى النسر الهرم يتهاك فوق ذروة جبل أشم ، ويحدق
بالاغوار واجماً ، ولا يرسل طرفه غازياً مطارح النجوم ، خفى بالنسر
إن كان مهيبض الجناح ، أن يزول من عالم الوجود أو يغدو محلقاً في
عنان السماء منقضاً في مهاوي الوهاد ، فالركود عار ولو في قمم الشاخات .
هكذا أراني كالنسر المكسال راضياً بمكانه من ذرى الجبال
وأنا أسبر قفار وجودي قفراً قفراً ، فلا أرى سوى عين ماء باردة
تنساب هونا ، وتريد أن تجعل دنيائي روضة غناء .

تلك هي (نياز) تفجر لي من قفر وجودي ينابيع
المسرات ، وتتهل من مناهل أشجاني اكواباً دهاقاً ، وتروم أن أغدو
لها معبداً خالياً من زحمة العباد .

وكأني بها جالستي في ركن منمزل وفي عينيها رنوة الحب ووجهها واضح
يضيء ساحراً كبهاء الغروب ، وهي تقول بصوت عذب رخيم ، كأن نبرات
ألحان سكري ، انبعثت من قيثاره السماء .

أي مصير ! : بعد ما علمت كيف ألت بك مأساة أخيك ، وكيف
جعت بأهلك ، وددت أن أسعى اليك سعي أم روم دوى في سمها
بكاء طفلها الرضيع ، لكي أشاطرك الأذى وأعاني ما عانيت . ولكن
وضعي كفتاة حال دون مسيري اليك ، فغفوك يا مصير . . .

أواه ! كم أنا مشوقة اليك والى . . . والى . . . أتعود بنا
الأيام كما كنا بالأمس أم أن الدهر قلب خئون ، لا يعيد ما طواه من
مسراتنا في مطاويه السود .

أي مصير ! : لم لا تكون دائماً قربي ؟ فإن بقاءك وحيداً في

انطاكية يمض فؤادي ويرمض نفسي ، فبربك سارع الى اسكندرون
تجدني بانتظارك لهيفة صباح مساء .

. . .
ارأيت كيف يشع الحب ساطعاً من خلال هذه السطور وينطق منها الحنان
صارخا ؟ تلك هي فقرات من رسائل نياز وأخاك تجهل من هي نياز ،
انها ابنة (تيمور) سيد نادي هاتاي وكبير المهوسين بالفكرة الطورانية
القائلة بأبادة عروبة اللواء . .
أجل هذا هو والد نياز عدوي الممين . فلست أدري ما يمكن لي
وراء الأقدار من عداوتي لتيمور وكلفي بنياز .



أميرة احلامي

ارأيت الى المنفسجة تفتتح للحياة نشوى على ضفاف غدير ، واشماع
مقلة النور يقبل أوراقها المخضلة بعبرات الندى ، كيف تنفض عنها خمول
الكرى ويشيع فيها الصفاء والسرور؟

تلك هي نياز في قMISS النوم ترسل النشوة سكرى والمذوبة بكرة
فتغدو للأنفس الحاملة مسرة ، وللقلوب الوالهة ملاذاً عذباً .

واني لاذكر يوم برزت لي باكرأ بقميص ازرق حريري ،
يشف عن نهد كاعب تدلت عليه زهرة بيضاء ، وآخر حلم رجراج
يتشوق ظمان الى ثغر ولد رضيع ، اني نسيت وجودي كأني كأني علوي
ليس بانتظاره قدر عابس ولا مصير مجهول . واذاكر الآن مخموراً بذكرائي حين
ناجني تغريداً بالنشودة هواي، انها استرقت نفسي استراقاً رشيقاً من يقظة واقعي،
فأحسست كأن صوتها الرخيم اذ يرت بأذني أنغام علوية شردت من جنان السماء .
ولو أهلت عليك تنهادى بدلال غنوج ، ومن ورائها البحر يتداني
بأواجه من الشط ، وشعرها الأشقر يترسل رقرقاً تحت أشعة الشمس
ويداعب جيدها الغض ، لحسبت شعرها اذ يتماوج برقة واين خيوطا ذهبية
أرسلها الشفق الأحمر هدايا للأرض ، وظننت الموج اذ يتداني من
الشط رويداً رويداً مفتوناً بسحر جمالها السماري .

كذلك لو خطرت أمامك تحتال تيهها وترنو اليك رنوة الحب ،
وثغرها العذب يفتر مشرقاً ، لتوهمت أنها المثال الأعلى للجمال الملائكي
أم الأرض جسداً رائماً لأغوائك بعبادة السماء .

تلك هي نياز أميرة احلامي ، استم—وتقى استم—واء
قسريا بروعة بشرة كافورية وهبت وجهها النضير رونق الجمال الحزين ،
وأخذتي أخذاً بفتنة مقلتين خضراويتين مكث فيها الحلم شارداً والذكاء وقادراً ،
وسجرتي سحراً بجاذب جسد ريان، فيه لامين متعة ذاهلة وللبنان ارتعاش لذة حاملة .

العظمة المتصدعة

وقفت مساءً انتظر لقاء نياز في شارع الخليج ، وزوارق الصيد
تتوارد الى الشاطئ سراعاً ، كالأطيار الهاربة من نذر الأفواء ، والشمس
تألم شمعها الذهبي من صروح الجبال وتكاد تنجح به الى الأفول ،
ولكن حين تبدت لي نياز لم أعد ادري كيف سارعت الشمس الى
المغيب ، ولم يعد عندي للزمان وجود كأن فكري يحيطها بهالة من
الأنقباء الشديد وبذهل عن كل ما في الوجود .

ولما ازدلفت الي تتثنى بمرح طروب وتهفو هفو النرجس في أدراج
الريح تلتقيها ضاحكا طروباً وبقلب واجب ، وصاغتها بيد راجفة
كانت تلتقف أناملها الريا بشوق جائع مهتاج .

ولما سرحت بها الهوينا على مرج القدير ، وساعدي يلف
ساعدها البض مرتعشاً ، وهي تميل علي ميلان غادة سكري بخمرة
معمقة وعممة العشاء تسبل علينا اول ستر من غرة الليل ، كنت استاف
من نحرها فوح هواي ، فأترنج جذلان فرحاً ، فيذكي ضرام
وجدني بلهب جديد .

وهكذا عايشتها لحظات حلمات وعاشتني تلك اللحظات ، حتى شارفنا
شق الجبل وضوء القمر يتهادى على المرج كموج البحر يطامن للسكون
وهنا مضت نياز ترتع بين الأعشاب ، فأخذت أتأمل من بعيد
كيف تصدع الجبل من أسفله حتى نهاية صرحه ، واستغرقت في تأمل
ذاهلا حتى آتت الي تقول :

مسير... انظر الى هذه الزهرة كم هي جميلة ؟ إنها من غريب

الأزاهير قلت:

إنما انتفاضة لنهاية فصل الخريف ولكل شيء في الحياة له أبان نهائيه
انتفاضات ، فهل أنت انتفاضة لجمال فتيات اللواء ؟ فتهبّت طروبة
وقالت نشوى :

وانت يامصير ماذا ترى في شق الجبل :

— رمزاً للعظمة المتصدعة

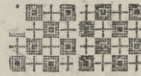
— أترأه شبيها بك ؟

— في التصدع خفسب

— بريك قل لي ما الذي صدع عظمتك ، أهو الحب ؟

فتجاهلت سؤالها ، فأضت الى نفسها تفكر ثم قالت : أراك موزع
القلب منذ قتل اخيك ، تبت أيدي قتلته الآثمين ، فراحت تنظر الى
نظرات وامقة حزينة . . . ومصت تقول : هيا بنا نعد . . . فقد طال بنا المكوث

وهنا اوشك القمر ان يغيب . . . عدنا والصحت يرافقنا خطوة خطوة
حتى شارفنا شارع الخليج فمضت في سبيلها تقول : الى الملتقى يامصير .
فوقفت أشيعها وامقاً وهي تغيب في ضوء القمر كما يغيب شراع ابيض
في عرض البحر .



الليل الأزهر

كان الليل في الهزيع الأول يتجههم لي محلولكا معتكرا ، وأنا في ركن موحش من شاطئ البحر ، حتى اذا امتد بهم الليل الى الهزيع الثاني يتمطى بالظلام ، اطل علي القمر من وراء ذروة الجبل خجولا ، ورننا الى مياه البحر رنوات العذارى الى مفاتن شاب رشيق ثم حبا الى عرش السماء وارسل أضواءه تراقص الأمواج وتففض نهودها من حين الى حين . فتبدو وهي تمور نهود فتيات عذارى يتلاعبن سكارى والقمر يمرآهن فرح نشوان كشاعر عجري .

ولو رأيت كيف غدا الليل أزهر ساكنا ، فيه يسرح الطرف في رحاب السماء ، سرحة سابع في مطاوي البیداء لتساءلت قائلا « أفي هذا الليل الشعري الحالم يلذ للعاشقين نجوى الغرام ؟ قد تحلو في سجوه النجوى قريبا من الشاطئ ، لو ان البحر أخذته غفوة من النوم ، فهدير الأمواج يوحش أنس الليل . ثم لتمنيت ان تهدأ الأمواج قليلا عن نزاع الشط كي ينعم الليل بجلال الصمت ، فصخب البحر يروع مراقب الصمت . وعند الهزيع الأخير من هذا الليل كنت أساهر صخب البحر ، وبنفسي حسرات من كبواتي في دنيا الأهواء فقد بدأت أشعر أني سيف ماض وميض ، حبس قسراً في غمده وألقي مهملا في زوايا النسيان وأريد ان أراني كما أنا بمرآة الأعمال .

* * *

ان من كان ثاويًا في وادي « ييلان » ، يرى للشواهد عظمة تهرب وتخيف ، فيرتاع من سموها للسماء ، فان كان جبانًا تواري خجولا في

في ظلمة الكهوف ، وكل ضئيل يشعر بسمو الآخرين ، ومن كان
منتصباً فوق أعلى قمة من جبال اسكندرون ، يتداني من نفسه فسيح
البحر ، فيرى الماخرات العظام في عرض البحر ضئيلات حقيرات ، وكل
سام يتحسس ضالة الآخرين ، أما أنا فلن أرى من أعماق وهادي
شيئاً عجباً وعظيماً ، ولا بد لي من يوم فيه أتسلق جبال المجد ، فإذا
تهاويت دونها وأنا في منتصف الصروح ، فحسب عيني خفراً وهي تموت
أنها تغمض أجفانها الانغماض الأخير ، على مرأى ذرى المجد
وموعد مع الخلود .



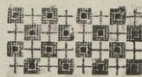
نداء التراب

أرأيت إلى النسر تغميه ظلمة السحاب غيماً شديداً ، فتحجب عن بصره
مرأى قننه الثاوية على رؤوس الجبال ، كيف يرتاع مذعوراً ؟ فهو متصل
بالأرض وان غدا مطاولاً أعنان السماء .

هكذا أراني محلقاً بأجواء المثال وبني جنوح الى دنيا التراب ، وبني ارتياع
من التراب ، فكيف استجيب لارادة نياز بالاقتران ، وفي الاستجابة ارتباط
بقدسية الزواج يليه التصاق بالأرض وتلبية لنداء الاطفال ، وفي التلبية تضحية
والتضحية زوال رخيص ، فكيف أبيت أسيراً لنداء التراب ومصير اللواء يداج في
ظلام من بعده ظلام ، وكيف أقف مكاني ظمآن للحياة ومن حولي تقيض
ينابيع المسرات . ولكن لا بد من السير سير الظل الى الظلام بعد أن
وردت علي رسالة نياز تقول :

أي مصير ! منذ أيام ووالذي يلاحظ توحدى الدائم وتأملي الشرود
وجنوحني الى الصمت وصدوفي عن اللهو ، حتى أدرك أنني أهيم في دنيا
غير دنياه ، فرطاني بطرف ساهر واحتضن مأساتي بقلب مخمور بالحنان
الأبوي ، وخفض لي من الرحمة جناحاً وطيباً ، حتى اذا بثته شكواي
حسري أراد مزيداً ، حتى اذا ادرك أنك في دنياي جدول سمادة عذراء
واني في دنياك الظل الوارف الرحيم آخض الى نفسه يفكر بوجوم ،
فساورتي بأمره الظنون وكدت اندم لترسلي معه الى هذا الحد الصريح ،
لولا أن خرج من وجومه يقول بصوت وادع لك يا نياز لعل فكر
راجح وخلق نبيل وافسر ، فلك ملء الحرية ان تقرري مصيرك
كيف ما تشائين .

ومنذ يوم أقبل والذي يمثي مخارف جلى من انجهاك القومي ، ورجاني
 أن استدعيك لزيارته عاجلا ، فوعده بقلب جذلان ونفسي سحابة من
 سرور . . . فسارع الى اسكندرون حالا فاني بانتظارك حرى انتظار
 ارض عطشى لغيث السماء .
 أي مصير . . ها ان الحياة بدأت تبتسم لنا ابتسامة السعادة البكر
 فابتسم لي فأنا لك حياة .



رييب الوادي

منذ يوم او بعض يوم وأنا احس فؤادي وردة يبضاء يضوع بعاطر من جنين ملبوف يجري جري الرياح الى مهد هواي عروس الخليج ، فانطلقت مسافراً والأصيل يتداخل بالمساء . . فما كادت السيارة تسلك بي صروح الجبال ، وتبتعد عن مدينة ميلان أميالا ، حتى بدأت تلهث لهث المتعب المصدور ، وثئن من فترة الى أخرى أنيناً ينذر بالوقوف ، وفجأة سكنت عن الدوي ، وتسمرت بالأرض كجلود صخري .

وهنا أخذت أراوح وأغادي على الرصيف متبرماً ، واتشوف الى اعالي الجبل بشوق حران ، وانا لا ادري من أين تسلك ذروته الأنوف ، حتى مرّ بي شيخ عجوز ، ناسل الوجه ضامر الجسد هزيل جدا ، يتمشى على الأرض مشية شبح من غبار الصحراء ، ويتسوكاً على عكازين ، ركن أحدهما تحت ابطه ، والآخر لامس باطن كفه ، وعلى كتفيه بقايا من وشاح . . . فاستوقفته قائلاً : من اين تسلك مناكب هذا الجبل ؟ فتنظر الي شذراً ومشى مطرقاً ، ومشيت الى جانبه اردد عليه السؤال ، فتململ مربدا وقال : ما أنا الا ريب الوادي !! . . وسكت يحرق بي عجباً ، ثم استرسل قائلاً : ان من كان يفني عمره مقيماً في مغاور الوهاد ، أترام يدري كيف تسلك سبيل الذرى ؟ تسلك صرح الجبل من أين شئت بذلك على ذراه دلاً ، فليس من سبيل الى ارتقاء الاعالي سوى سبيل المغامرات ، ثم تحدر الى بطن الوادي رويداً رويداً وتواري بين هياكل الاشجار كالشبح يلج متثدا مطاوي الظلام ، وانا أسائل نفسي قائلاً : اسمعت يانفس حكمة الأعماق ، هيا تسلكي

صرح الجبل بأكف من حديد .

* * *

ولما هممت بالايغال في جوف أيكات الجبل المتعاقبة كأشجار الغابات
سمعت صوت السائق يقول : السيارة على اهبة المسير . . . ولكن
حلمة الأعماق ظلت تصفر في أذني صفر الرياح !



الكلمة الخالدة

أرأيت الى الطود الأرعن الشموخ ، يمكث متوحداً في سهل مجنح
الأرجاء كيف يغدو قبلة الأنظار ، ويشار اليه من مدى بعيد ؟
هكذا لفت انتباه تيمور الي ، وأنا أحاوره بقرار جنيف وأفند
مراميه ، وهو يستوي أمامي جالساً بكبرياء ، وطرفه يومض اعتداداً
بنفسه ، وفي قسما وجهه قسوة ناطقة تنم على ثراسته ، حتى اذا سفهت
أحلام الدعوة التركية ورميتها بالخلط الكبير ، أخذته حمى من الغضب
وقال بحماسة شاب غرير :

ما كان لدول جنيف أن تقرر مصير بلد تركي ، ونحن أولو بأس
شديد ، ولو لم يكن قرارها المرحلة النهائية من بقاء اللواء في دنيا
العرب ، لكان هينا علينا أن نصبح وادي بيلان بالدماء ، ونجعل من
وادي العاصي بحيرات حمراء تموج بالأشلاء . وسكت فترة ينظر الي
بطرف ثاقب ثم استرسل قائلاً بحماسة فاترة : فاذا قلت لك إن الجيش التركي
سيوغل باللواء في غرة الصيف القابل ، فلا أقول شططا على الحقيقة ، وإنما لندي
وثائق دولية تؤكد ما أقول فسألته بهدوء : أيقترح الجيش التركي اللواء غازياً ؟
كجيش فاتح جبار ؟ أم ان السلطة الافرنسية تخون العرب وتفتح له الثغور ؟
فعاوده الغضب مرة أخرى وقال مرعباً ، وفيه يمتد بافتراق اصفرلقيم : سترى كيف
ان الجيش التركي سيجتاحكم بلداً بلداً كاجتياح الاعاصير ! قلت ساخراً : لن يوغل
بقربة من قرانا الا بارادة افرنسية خائنة . فقال : إن كل ارادة تتمرس
للارادة الافرنسية تنهار كبرج دكه انفجار ، فأحسست بالغيظ يغلي في دمي ناراً ،
ويربد أن ينطلق من فمي لهبا ، فجمعت قواي وهممت بشر الكلام ، ولكن

« نياز » نهضت الي فوراً والقت في أذني كلمة ناعمة ، وناولتي لفافة تبغ وعادت الي مقعدها ترنو الي رنوات فيها أدق معاني الرجا .

وهنا بدأت أذخن بشروود ، وأتأمل الدخان يعلو الي الفضاء حلقة خلفقة ، حتى اذا سكن مني الغيظ خاطبت تيمور قائلاً : ألم تر الي هذا الدخان لو مثلته بخاراً يتصاعد متماسكاً الي اعلى ؟ كيف اذا ادرك جواً زائحاً برطوبة الهواء ، ينحل شيئاً فشيئاً ، ويتساقط وهفناً ناعماً ينعش الروع ، أو ينهمر فيضاً غيداقاً يجدي الأرض .

هكذا نحن العرب نسمو على ارادة الطفيان سمو الدخان ، حتى اذا أدركنا أجواء ملاءى بالموت ، تنهات على الأرض أشلاء مخضبة بالدماء .

ولا ندع لواء اسكندرون يحتضر بلا ضجيج يهز الأرض هزاً ، ويدوي باتجاه الزمان قائلاً للأجيال العربية القابلة : هنا من دمائكم دماء سفكت دفقا عن عروبة اللواء وخالطت ذرات التراب . فتمهل وقال : ما أنتم صانعون والجيش الافرنسي يصليكم شواظاً من نار ، والجيش التركي يكمن لكم عبر الحدود بالمرصاد ؟ قلت نصنع بوحى الكلمة الخالدة التي قلها زرادشت وهو يناجي نفسه : زارا . .

زارا . قل كلمتك وتحطم ! قال : تلك كلمة من كتاب الجنون : قلت إن بالجنون يمكت لباب الحكمة . والحكمة صرخة الجنون بوجه الطفيان ، فتنفس الصعداء وقال : لا امل بالتفاهم معك ابدا . وتلفت الي نياز ينظر اليها بطرف عاتب كأنه يقول لها بأسف : كيف تنشدين من مصير حياة زوجية هادئة تنعمين فيها بالصفاء والسرور ومصير كما رأيت . . . وكأنها ادركت مراده فذت مني تفرل همسا : لا خير عليك . . . اوثقت مصيري بمصيرك ! ليفعلن القدر ما يريد .



من ليالي البحر

أتيت البحر والليل يتوسد زحمة الأمواج ، وبطوئها طياً بلجج الظلام ، فلا شيء يدل على مهابة البحر سوى هديره الصاخب وهو يدافع الصخـور بعناد.

وهنا شعرت بشوق جامح لي ركوب البحر متلظها كالمسحاب المتضارب في رحاب جو قطوب ، وامتطيت زورقاً بخارياً ، ورحت انخر به عباب الماء وهو يتأرجح بالظلام على غير هدى ، حتى اذا وهن الليل ونام اضطراب البحر ، وبزغ القمر منيراً ووثنى الأمواج بضوء لجني ، سادته سكينه وادعة حاملة ، فاحالت روحي الى موجة من ضياء تطفو هوناً فوق اديم المياه ، فأخذت أتأمل روعة السماء ، والرياح تداعب الغواصي مداعبة قاترة فتذروها ذرياً هنا وهناك ، فتجري في الفضاء سابحات كأشعة يضاء ، وهن يحجبين وجه القمر من حين الى حين ، ويسرحن أدراجهن خطفاً .

أتراهن ادركن ما للقمر من جلال رائع جذاب ؟ فلم مررن به على استحياء مرور العذارى بسرب من يُفعمان الشباب ؟ أم كن على ميعاد وروضة عطشى أقامت عبر الأفق البعيد؟ لعلهن أبين ان يشاهدن ضوء القمر وهو يختصر فوق مياه البحر مشيعاً بعبرات الفجر ، فسارعن بالمسير

* * *

كذلك فارقت البحر وضوء الفجر يفلت من قبضة الأفق واثبا للسماء ، وما ان سرت مسافة يسيرة حتى تقدم نحوي رجل عربي اعراه جيداً وهو يقول :

ان السلطة الافرنسية ونادى هاناي بيتنا في هذا الليل على العرب مؤامرة نكراء قد تسفر عن وجهها الشنيع باكراً ، فكن علي حذر : ثم سار في مسيله بخطرات عجلي كانت تحتطف من الدرب اختطافاً سرماً .

النزوة الطورانية

أرأيت الى قبيلة بربرية عريقة النسب بهمجية القرون الأولى ، كيف اذا اثرت غرائزها البهيمية ؟ تستفيق للفنك والاجرام والتدمير ؟
هكذا استفاقت الطورانية في نادي هاتاي تتنادى الى الاثم والعدوان ، حتى اذا أعجبتها ضواؤها أخذتها العزة فمارت بالصخب العرييد ، وانطلقت من الحي التركي انطلاق كائن مجنون تندد بقرار جنيف ، وتهاذي قائلة : اللواء لنا . . هاتاي لنا . . الى دمشق . الى مكة والجزيرة أيها العرب الدخلاء . . ثم تصوبت نحو اما كن العرب زمراً زمراً ، وشارفت مداخل الأحياء العربية هوجاء تنزى بالشروتزبد كاللوج عند سيف البحر .

وهنا زحفت الى لقائها فتية عربية زحف الكتائب الخرس الى معادل العدو ، وجثمت أمامها كالهول مرعباً ، تبادلها اشد الضراب ، فكان الصراع شديداً ، وكان الاندفاع ضريراً ، وكان القتال ضارياً .
أما السلطة الافرنسية فكانت في منزل عن هذا الهول الزاخر بالفواجع والنكبات ، أكان في أسماعها وقر أم هي صماء لا تستمع الى ازيز الرصاص كيف ينداح في الفضاء فيوقع الرعب بالأنفس ، وكيف كان دوي المتفجرات يبعث غمغمة الأبطال ويستقر صافراً بالاسماع ومنذ ان رأت العدوان التركي يرد مدحوراً ارتداد موجة طاغية ، استيقظت خيانة العرب يقظة الأفعى ، وقذفت بفرسان الجيش الى مطاوح الأتراك ، وأحاطتها بأسوار من الحراب ، ورمت العرب بمفارز من المشاة تحسن اقتناص الأرواح ، كلما ازدلف الى خطوط النار شاب

عربي مغوار حتى اذا تكاثرت القتلى والجرحى انكفأنا الى مطارحنا ونحن
فريقان ، فريق يترنج نشوان يبطولة الشعب ، وفريق آخر يتحسر عبران
على الدماء المهدورة بلا ثمن بالغ عظيم ، وهو لا يدري ان الموت بمواقف
الاستشهاد يروي نفسية الشعب بخلاق صارم عزيز ، فينتفض بوجه الظلم
انتفاض الدوح بوجه السحاب ، فمجيب ان نخشى الموت وهو يرفد
الحياة بالدم الجديد ، ولا نخشى الحياة بالطمر العتيق !



المدينة الثكلى

أرأيت إلى غانية سمراء ثكلت اغيدها الحبيب ليلة الزفاف وقبعت بشباب
الحداد، وشعرها يتهدل على كتفها خيوطاً من الظلام، كيف تبدو لك وهي
حزينة حسرى، كالبدن مخسوفاً بظلمة الشحوب وتضمه هالة سوداء؟ .
هكذا رأيت مدينة انطاكية بكرة كهروس ثكلى، وأنا هائم بين
بساتين الوادي، وفواقيس الكنائس تترنح برنين الحزن الجريح يتهادى في
الفضاء متهاوجاً، ويعرج للسماء شاكياً .

أكن صداه مسحوراً يتجاوب ومطارح السماء، حتى امتد الي حساً
بديماً بمأساة العرب في اللواء، فغدوت والكون غريقين في خضم زاخر
بظلمات الأحزان، أفي السماء تجاوب ومآسي الضعاف؟ أم أن المآسي
بالأنفوس المرضى ايجاء بالحزن والاستسلام، فتتشوف حسرى إلى قوى السماء؟
هذا ما تصنع المأساء، فويل للعربي ان لم يقارع مأساته بجنان ثابت
كالأرض، وبنفس صابرة متسعة كالسماء .

هكذا كانت مشاعري، ورنين أجراس الكنائس يطوي صداه بطاح الوادي
فيهتزله الدوح مترنحاً كالسكران، ويرسل الخفيف بانسياق العاصي
زفرات وآهات، كأنه يتحسس مشاعري كهربي مفاجع بشقاء الوطن
العربي، او كأنه يعلم بأنني وياه أخوان شبتاً وترعرا في ربوع هذا
الوادي، فيشاطرنني مشاعر الأحزان شجياً والناس نيام .

ولما تعالى من شموخ المآذن صوت الدعوة للصلاة، كنت أتخفز
للزفال . . . وكان الشعب العربي هائجاً كالنمر عادياً في مقارعه طغاة
الاستعمار .

القبور الحمراء

منذ كانت الظهيرة تحبوا الى عرش السماء ، والسلطة الافرنسية تحشر
بمداخل الانحاء العربية الفصيل تلو الفصيل من قوى الأُسنة الوميدضة ،
والمفرزة تلو المفرزة من حملة الشواظ والحديد ، حتى طوقتها بأسوار من
حراب كانت تتوامض بأشعة صفراء ، كأنها الموت يتجهج للحياة .

ولما انتحمت قوى الأُسنة والشعب في قتال ضار عنيف زلزل
أقدام الأبطال ، تنحت عن قتاله ارضا غاماً وقسراً ، فانقضت عليه حملة الشواظ
يمطره وابلاً اثر وابل من نار ، وهو يتلقى قذائف النيران ثابت الجنان
راسخ الأقدام كرواسي الجبال ، كأنما انبعثت في نفسه روح الجاهلية
ريبة الصحراء ، فكان مغواراً مقداماً يمثل القروسية العربية اروع تمثيل ،
ويحقق بطولته بشعور عفوى .

وهذه البطولة أهابت بالسلطة الافرنسية الى ارسال نداء للعرب يقول :
طامنوا للهدوء . . . واستجيبوا للسكينة ، فالجنة الدوائية الثانية يمت شطر
الميناء ، وسوف تشرف على أحصاء السكان وانتخاب مجلس تشريعي يقرر مصير
الواء حسب ارادة الاكثرية الساحقة من السكان .

وهنا آب الشعب العربي الى احيائه مخموراً بنشوة طروب من ظفر
راقص اوبة قبيلة جاهلية غازية الى مضاربها في حلك ليل دامس بهيم .
ولكن أتدري كم التهمت ظلمة القبور من الضحايا الأبرياء ؟ .

لقد شيدنا أحد عشر قبراً أحمر في يوم واحد ، وما زال على سرر
الاحتضار شباب جرحى يتشرفون الى رحمة السماء ، ومنهم من ينتظر
قبوراً حمراء ، وما زلنا نستاف من دماء الشهداء عبير الموت مسكراً ،
وأريج الحياة منعشاً ، فتلك هي نواميس الوجود تضحي بحياة لتأتي بحياة .

دوافع البطولة...

أرأيت يا صاح كيف حقق الشعب العربي في صراع الجند بطولته بشعور عفوى ؟ أترى في تحقيقها انتفاضة لدوافع خفية مجهولة ؟ . ان في كل عصر الروح العربية السرمدية بأعماق النفسية العربية حياة امتدت من الماضي البعيد ، وتلك الحياة هي الوب المحرك لحياتنا الارادية لآنية في انسياق المصير المحتوم ، وهذا المصير حقيقة الشعب العربي بالأمس الغابر ، واليوم الآتي ، وفي الغد المجهول . وتلك الحقيقة الهائلة تهيب بالشعب كرها او طوعاً أن يعيش غابر ماضيه في أحابن حاسمة دقيقة ، بلا ارادة واعية تخطط وترسم وتبين اتجاهاً معلوماً ، ذلك ان الغابر العربي بكل ما فيه من بطولة ومغامرة ومعاناة وخلود ، يتجمع من عصر الى آخر بالنفسية العربية تعاقباً ، لذا كانت تلك النفسية في هذا اليوم خضاً كبيراً يتحرك بنوازع الأجيال الهالكة ، ولا غرابة ان حقق الشعب العربي بطولته بشعور عفوى ، مادامت تلك البطولة مزينة أصيلة في خلايا نفسيته ، تضمر حيناً وتفتتح أحياناً أخرى .

فاذا ما عانى فرد واع مسئولية وجوده كعربي ، استحال غابر ماضيه بنفسه الى حياة تتحرك في أعماق وجوده ، فكانت نفسه حياة تريد ، وحياة تسعى الى تحقيق نوازع الذات السرمدية بقوة الزامية خفية ، تفتتح نفسها للبطولة من جديد ، ويستبين بالموت كائنات فرد ، وهو ينشد الحياة ككائن اجتماعي ، وذلك ان الكلاحياتين في نفسه مصيرا واحدا ينسجم ومصير الذات العربية الكبرى الى حد بعيد

فالعربي إبان تحقيق مصيره يغزو شبيهاً بالودق ، يهطل قطرة فقطرة

ويتجمع في واد عميق ، حتى اذا ضاق به اتساعاً ، تهور سيلاً عارماً
له سبيله المعلوم . فالحياة الساعية الممتدة من الغابر، هي في النفسية العربية
ينبوع عميق ، يفيض تارة ويغور أخرى ، يفيض حيناً ياتي الشعب
أزمة حادة خلاقة مبدعة ، ويسيل في مجرى مصيره العام، وهذا المصير يضرب
اغوار المجهول ماراً من جوف الحياة الارادية المسخرة لتحقيق رسالة العرب
في مضمار الحضارة الانسانية .



رسول الكهف

إذا قيل لك إن ملكاً أنزل من السماء رسولا ليقم العدل في الأرض ، وليس يميناه جملجة الرعد ولا يسراه كنانة الشهاب ، ألا تراه أضحكة للعاشرين بالقيم المثلى ؟

هكذا أم اللواء رئيس اللجنة الدولية الثانية رقيما يشرف على احصاء السكان وانتخاب مجلس تشريعي يجعل من اللواء دولة مستقلة ذات سيادة وليس وراءه سيوف حداد تقدح لهبا في ليالي الحوادث الرعناء ، فتهيل ضراوة الشرور الظمأى لا كتراع الدماء .

فماذا تراه إذا قلب له المسيطر ظهر الحجب وظاهر الدعوة التركية ببأس الحديد ولهيب النيران ؟ أيهرع لوإذا بدول جنيف ، وجنيف كهف التآمر الدولي .

أرأيت الى شاب مهوس تمكث في عينيه وداعة الاطفال وعلى وجهه ، فورة الايمان وهو يتحدث عن آماله الجسام سليل الفؤاد يبهارج الاحلام ؟ هكذا رأيت رئيس اللجنة الدولية شابا مهوسا مثاليا ، وهو بمدارج الكهولة ، يريد أن يجعل من لواء اسكندرون سويسرا ثانية في الشرق ، أو المدينة الفاضلة بالارض ، ويدعي أنه سيشرع بأحصاء السكان في جو مترع بالهدوء والنظام فيه للعدالة أعين لا تنام ، وفيه الانصاف يد لا تشل ، وليس لديه من سعار الحرب شواظ من نار يفرض العدالة فرضا على المسيطر الافرنسي ويرد كيده الى نحره .

* * *

أترى يا صاح في وضع رئيس اللجنة الدولية أملا يطمئن القلق العربي؟

لا واييك ! فاننا لا نزال نذكر بمرير الأسي عهد اللجنة الدولية الاولى،
وهي تطوف المدن والساكر والقرى، وتلقط مطالب السكان وترسد
المواعيد الحسى، وتبشر بعدالة مثالية، حتى اذا آضت الى جنيف، تمحضت
عمرا فولدت قرارها القائل باجتياز اللواء من ضامة الجسم العربي. فلن
يهدد رسول الكهف الدولي أنفسنا بسلسال عذب من أنغام مثاليته
العزلاء، ونحن نسمع صخب التاريخ البشري يدوي على مدى العصور
قائلا للشعوب العربية :

لا عدالة لكم ولا حرية، وألسنة حرا بكم تتأق بآتسام السكينة والسلام



قوافل الدخلاء

ارأيت الى السفينة الجنوح ، تصارع الانواء في عرض البحر ،
وتكاد تهوي الى الاعماق رويداً رويداً ، وربما يتشوف الى آتاد البحر
بالتباع مذعور ، وينتظر مصيره المحتوم من ساعة الى أخرى ؟ .
هكذا كانت مشاعرنا ونحن نحشر في سفينة مصيرنا المربع ، ورباننا يطلب
النجدة تلو النجدة من الحكومة السورية فلا يجيب ، أخلت دمشق
من كل نجيد مغيث ؟ أم تري نحن نقيم في عالم المربخ ؟ .

فماذا نصنع ، وقوافل الدخلاء تتوارد علينا من أتراك كيليكيا
بحراسة المدرعات الافرنسية ، فلا نستطيع لها ايقاتاً ولا رداً ؟ ، أترانا
نهرع الى رسول الكهف الدولي مستجيرين بمثاليته العزلاء ؟ فماذا يفعل ؟
والمستعمر الافرنسي متعنت بالباطل كافر بالحق ، يعتبر قوافل الدخلاء أترাকা
لوائيين ؟ هجروا اللواء قديما من تعسف الحكم العربي الفيصلي وآبوا
اليه بظل العدل الافرنسي !

ارأيت كيف يخرج علينا المستعمر باهاب العدالة ، وكله زور ونذالة
وخيانة ؟ فلمن نشكو بلوانا ؟ . . وطالما أثبتنا لحكومة دمشق سوء نواياه
فما كانت لتعيرنا اذنا صاغية ، بل تجاهلت امرنا وتغافت عنا غفوة الضب
شائنا . كأننا نسكن في جرم صغير من أجرام السماء تتجاذبه الكواكب
الكبرى من هنا الى هناك . . فويل لحكومة الكتلة الوطنية من اللعنة
الويلية ، لعنة الجيل العربي الجديد .

العبيد البيض

أتدري من هو العبد الابيض ؟ انه من كان يمارس السياسة القومية مرتزقاً ، كما يمارس الطائر (أبو سعد) صيد الحشرات ، أترأه ينال قوتا من ديدان الارض ، إلا اذا غمس نصف رأسه بطين المستنقعات؟ تلك هي صورة لكل قائد سياسي من العرب، ينظر الى أرائك الحكم نظرتة الى منجم ذهبي بدر تبرأ بكرا ، حتى اذا رام منه نصيباً وافرأ اشتتم من أقدام المستعمرين تنن العبودية ، فذلك هي امري مزايا العبيد البيض في الشرق العربي .

ألم تر الى قيادة الرعيل الاول كيف تتمطى على أرائك الحكم وتتغنى بأشودة التفاهم النزيه ، وتحوم حول المماهدة السورية الافرنسية بطنين داو كطين الذباب ، والكارثة الكبرى تقترب من عروبة اللواء اقتراب النار من الهشيم ... فأين هي من مكانة القيادة الصالحة ؟ انها بالدرك الاسفل من الحضيض ، درك العبد البيض .

فاذا قيل لها لم لا تجعلي حداً من نار لعمث السياسة الافرنسية بعروبة اللواء ؟ أخذتها الحسرة بالكذب وتشاجت مكراً وقالت : ماذا نصنع والشعب واهن نوام عن النضال الثوري ... والشعب ليس بنائم وليس بواهن ، ولكن خدرته بأفيون التفاهم النزيه .

أرأيت الى البحر الساهي العميق القرار ، كيف لا ينخض ميئاداً هائجاً الا اذا تمخض في قعره زلزال عظيم ؟ هكذا غدا الشعب بعد التعاهد الافرنسي السوري ، فكم هو بحاجة الى الزلزال يتمشي في اعماقه مدوياً متفجراً حتى تنبعث منه القيادة الصالحة : فتزأر بالأسماع قائلة : الى النضال . . الى الموت . . الى الفناء في سبيل انقاذ عروبة اللواء .

مسرى الركب القومي

أرأيت الى الركب الضارب في رحاب صحراء عبوس ، تنوء
بوهج الرمال الالهة ، وهو يتوهم أنه شارف الهدف الأخير ، ولا يدري
ان دليله ما كمر خادع يفتن بالتضليل .

تلك هي صورة ركبنا القومي، وهو يسري في متاهات الاستعمار رثاءها،
ولا يدري أن قائده من معاشر (الرعيل الأول) يقوده الى مسالك الهلاك والتهيه .
أترأه يدرك أنه ضليل ؟ .. لا وأبيك ! فهو بمسيس حاجة قصوي الى
قائد ماهر من طليع الجيل الجديد ، يقوده الى واحدة فيحاء ، من
ورائها واحات ، حتى اذا ثقال بالمسير، وتعلمل من مشاق السفر الطويل ،
انتصب أمامه حاديا بصوت الايمان المتلهب العنيف ، حتى اذا شد عزائم
الضعاف ودغدغ الآمال، وخلق جنة من الأحلام يكشف الركب قائلا :
الدرب امامنا شاق ولكن لا بد من المسير ، وزادنا من الطاقة وفير،
ونحن اولو عزم صارم وهناك ... هناك . حيث نهلك أعمار الابعاد ،
نحي أماننا الجميع ، فهيا جدوا بالسير الدائب الحثيث .

هذا ماتريده سلامة ركبنا من القيادة العربية ، وما تفرضه عليها
فرضا ، هو النظر الى الحياة من خلال ظلمة الموت كنظر المؤمن الى
الجنة من ظلال السيوف ، حتى تغدو قدوة حسنى تمسك بأعنة الشعب وتسير به
مراحل في انسياق عالم جديد .

أرأيت الى تنوء وثب من قعر البحر جاحما ، كيف يدفع بالياه عارمة
طاغية تغرق وتغمر وتزيل ؟ هكذا سيثب من صميم الشعب قائد الجيل الجديد نائرا
متمردا، فانتظر من الشعب الانتفاضة الحية الخالدة ، فكل آت قريب .. وهذا هو
ناموس الحياة ، ركود وانتفاض .

كبراء العبيد

أرأيت الى الشهاب يتهاوى ليلاً في كبد السماء ، كيف ينير فراغ الفضاء وينقض على الارض صاعقا مهلكا ؟ .

تلك هي صورة البطولة ، تتجلى على الشعب بأضواء الشهب المتهاوية ، وتحارب اعداءه برعونة الشهب الصاعقة ، فاذا انتفض البطل ثائراً على الواقع الفاسد، متحدرًا من أبراج مثاليته العذراء ، كان حدثاً هائلاً يهز اعماق الشعب هزاً ويملاً فراغه قيماً ومثلاً عليا ، فيندفع للحياة وكله آمال وأحلام، فيأتي بالخلق والابداع .

فهل ترى من كبراء الرعيل الاول من تلمس مكانة البطولة حبواً او زحفاً ؟ إن أدناهم من هرم البطولة صرح قائلاً : (لقد خسرنا لواء اسكندرون ، ولكن لم نخسر حق المطالبة به ؛ اكان غمراً غيباً لا يدري أن الدفاع عن الحق يتطلب القراع المستميت ، وان المطالبة بالحق المفصوب امر مجهول يشوي في جوف الزمان ؟ لا وأبيك ؛ وانما اراد بقوله هذا ان يخيّل اعين الشعب يريق أمل خلاب كالسراب .

اما اقصاهم عن هرم البطولة، فقد صرح قائلاً : (لا يسعني الا الانحناء احتراماً لقرار جنيف) .

تلك كلمة خرجت من فمه فانتشر منها عفن كريه أهو عفن العبودية الراسخة بنفسه رسوخ الاطواد ؟ أم انه عريق النسب بالارقاء المولدين ؟ انه وغد لئيم لو قدم الى سيف جاهلي لرأيت السيف يأبى أن يتهاوى على رأسه ، مخافة ان يكرمه بالموت قتلاً ، ولكن صبية اللواء تحن الى

رحمه لكي تزيقه حمى الموت رجما بالحجارة . فقد كان فوق منصة الحكم
يعفر خده بغير الخذاء الفرنسي خائفاً ، حتى اذا اقصى عن اريكة
الحكم خرج الى الشعب متمراً كطاغية ، وارتقى المنابر بين اتباعه
المرتزقين مشرباً للفخار بحيد ماضيه ، فلبس التابع ومسحاً للمتبوع .



القسيم الثالث

همس الربيع

من انطاكية الى مهبجر العرب

ارأيت الى غادة صحراوية معطار ، انتصبت أمام خدرها باكرا ،
تهفو بقميص ازرق سماوي ، وترمي مدى الصحراء بطرف شارد سبوح ،
وتستقبل النسيم بمرح جذل ؟ وهو يختطف عبير عطرها الفواح ،
ويفر نشوان الى بعيد ؟ .

هكذا أصبح دوح العاصي معطاراً كغادة هيفاء ، يرسل الفوح بكراً
بعد أن لامسته جذلي أنامل الربيع ، ووشت خطاه الريا بطاح البساتين
بروائع من الزهر الحالم الوديع ، فانتفضت سكرى بحياة عذراء تتضاحك
للحياة .

فلو رأيت كيف غدا الوادي ينشر عطراً ويتماطف فرحاً ويتسم
طرباً ، ابدا لك خضياً سندسياً مناجاً ، يرغي زبداءً براقاً تبلور من
مختلف الأزاهير ، وهو يتألق ساحراً كلما ترامت عليه شمس الأصيل .
هكذا استفاق الوادي من هجوعه الحالم الطويل استفاقة نشوى
بالحياة ، وحياة تهمس في اذني صباح مساء : « كن في دنيا الربيع
زهرة حاملة يدياء ، تحسي ندى البكور في زهول عن مقلة النور . . .
أحسبت قلبك يعمر دهران ، فدى العمر قصير كعمر فراشات الربيع » .
فكيف لا أحن مشوقاً الى دنيا هواي ، وهمس الربيع يدوي في أذني
كهزير الريح وهو آت من براعم الأزاهير ، وكيف لا أكون غدا
نزبل اسكندرون وعشير نياز ، وفؤادي طائر من حنين .

ظهيرة القلب

انتصبت ونياز بشرود فوق جلعود صخري يطل ، على واد مشجر
بهيج ورحنا نتأمل جمال الغروب والازهار سكري بخمرة الريح ،
والشمس تغافل الوادي وتسترق خلسة من أديمه النور ، وهو ساه عنها
وفي غفلة ذاهلة كغفوة العرب عن مأساة اللواء .

ولما برز الينا الشفق الأحمر ناشراً جناحيه في أطراف السماء ، يتيه
زهواً بغريب الالوان ، خلته طائراً ابيض لعوباً ، يرنق بالفضاء ساهياً بعد
أن مرّ جناحيه وجيده بدماء شهيد عربي ، فأخذتني سكرة من مأساة
اللواء ، وغابت نفسي لحظات في طلم حزين جميل . أما نياز فرأت في الشفق
الأحمر ابتسامة المساء تودع الأرض الى حين .

وعندما أقبلت علينا غرة العشاء ، تنساب بين غوارب الجبال انسياب
غبار أثاره جري فرس جموح ، قالت نياز : قد استوحش وجه المساء
واعتكر ، فهيا بنا نعد فاللدرب دوننا عسير .

قلت : دعيني حتى أرى الليل يضرب بجناحيه الوادي ، ويتوسد طريقنا
سأكننا هادئاً .

قالت : أراك نحن إلى الليل ؟ أبنفسك غيب من ظلماته ؟ .

قلت : لعل بي حلكاً من سواده الرهيب .

قالت : أنا لا أطيق الليل دامساً بهيماً وهواي ليل سرمد ليس وراءه

فجر باسم يأتي بنور جديد .

قلت : هواك ليل مات سحره وكاد يثب فجره أبلجاً ساطعاً .

فتململت قليلاً وقالت حسري : ما أراني خلقت الا ليل الموحش الخفيف .

قلت : ما خلقت الا للفجر الضحوك فانتظري تباشيره الغراء ؟ وقالت :
 فاضطربت بصوت محرور ، أأنتظر وزهرة صباي توشك على الذبول ؟ .
 وسكتت فترة وناجت نفسها آسفة ، رباہ ! لم لا أرمس هواي بنفسي
 فتياً ، واتخذ له رمزاً مقدساً يرمز الى ظهيرة قلبي وهي تنجح الى الزوال ...
 ثم صمتت تنظر الي بطرف غضوب . وهنا أخذتني حيرة بليدة ومشى
 الانفعال بنفسي فارباً ، فأحسست بعيني صخباً شديداً يريد أن يتكلمهم
 بالدموع ، فرفوت اليها رفوات كاسفة ، كانت الي تشكو بصمت حزين .
 ولما رأت طيف الانفعال بعيني جرحاً هتفت : أواه ! أمنفعل أنت ... ؟
 ثم مالت تعانقني بحنان والدمع يتزاحم بأهدابها مرتعشا ، حتى اذا
 هدهدت نفسي بنجوى الدموع ، راحت نواسيني مواساة أم رءوم ونحن
 نتحدر من صرح الجبل الهويننا . . .

فماذا تراني فاعلا بأمر نياز ؟ وهي تلح علي الحاحاً دائماً بالاقتران ،
 وكثيراً ما أبنت لها بوضوح أن وضيي يضطرب بالزواج فما كانت لتدركه
 بشمول ، فكيف تدركه وهي لا تدري كم أعاني من شقاء الوطن العربي ؟ .



لذائد العظمة

ما برحت نیاز تواقه الى حياه الأمهات ، وأنوثتها الحالمه خشياً من فوات
الأوان تقرب من النضوج اقتراب الثمرة اليانعة من الجفاف . وانا حائر
لا أدري كيف أجد لأمرها مخرجاً ، وظلام جنيف مخيم على مصير اللواء .
فمن لي بماردات جبار يتقمص روحي ثائراً ، ويسيرني ضريراً في
دنياه ، لعنوت لارادة نیاز بالاقتران صاغراً وطامنت لواقع الحياه ، غير اني
أحس بنفحات علوية آتية من وجدان السماء تلزمني ، الزاماً قاهرراً ان
اتحمل أعباء وجودي كعربي يغالب الطغاة مغالبة دائبة ؛ حتى اذا صرعه
كان له نشوة البطل المقدام ، وهو يعاني سكرات الموت ساخرراً من الحياه .
ارأيت الى من كان له مطلب عزيز المنال ، يقيم منيعاً فوق قمة جبل
شماخ ، كيف يجد في سعيه الدائب لذة مرسوبة بالهناء هي أعمق أثراً
بالنفس من لذة تختصر على سرر الشهوات ؟ .

لذا اراني تواقاً الى التسامي على دنيا الشهوات المرضى بالآلم الجائع الفقير ،
واحن الى دفع قواي لخلق عمل جبار عظيم ، حتى اذا ركبت غوارب
الصعاب ، واقتحمت غمرات الأهوال كان لي - من ارتعاشي منتصراً ومن
اختلاحي مغامراً - لذائد العظمة المعذبة ، فتلك لعمري لذائد الأبطال عند
قتحام الهول ، او ساعة الانتصار .

ارأيت الى حبيبات من الماء تطفو سابحات فوق مرجل يغلي ويفور ؟
كيف تزول سراعاً ونيران المرجل آخذة بالانطفاء . تلك هي لذائد
الحياه الفاكهة الكسلى ، تتراقص بجنون فوق ضرام الشهوات ،

ولكن ... سرعان ماتزول من عالم الذكريات .
فاذا كنت تريد من الحياة لذائد هائجة عنيفة ، تعمّر في ذكرياتك
دهراً ، فتسلق صروح البراكين وهي تقذف شواظاً من نار ، فان اللذائد
المعمرة بالأنفس زمناً مديداً لا تقتنص من الحياة إلا بقراع الحياة ، ذلك
ان القراع الهائج يطبع بالذاكرة صور الهول طبعاً قاسياً ، فتعدو على
كر لزمان أطيافاً ساحرة تمتع القلب بمتعة رائعة ، كلما خطرت تنهادي
في دنيا الخيال .

* * *

لذا وجب علينا نحن طليع الجيل العربي الجديد ، ان نتحمل مسؤولية
وجودنا كعرب ، نريد ان نقنص من نيوب الاستعمار ومناسر الاقطاع
لذائد العظمة المعذبة . فتلك لعمرى لذائد تساوي كل ما في الحياة ...



الافاعي الرقطاء

منه الريف الى صحراى العرب

أرأيت الى سرب من الافاعي الرقطاء ، تسعى مشرئبة الاعناق وتلهث
لهثاً مخوفاً ، فتنتفث السم زعافاً قاتلاً ؟
هكذا أرى سياسة الاستتراك وهم يعيشون بالريف فساداً واجراماً ،
عيث الافاعي الموصبة بجنون الرمضاء ، ويرنادون المعابد زمراً زمراً
مدثرين بجلايب الدين خداعاً ومكراً ، ويشترون الذهب نثراً كالرمال
المتطيرة في مهب الرياح ، ويرادون مشايخ الطرق والزوايا على شراء
ضماير الحمقى والمغفلين من الفقراء .

فكيف نظارد قرصان الضماير في يم هدار زاخر بالامواج ؟ وليس
لنا فيه شراع من فولاذ لا يتأرجح مياداً بهوج الخافقات ، وكيف نرد
الدعوة التركية على أعقابها القهقرى ، والمستعمر عطوف عليها يحميها
باسم الحرية ويحيط حرية العرب بجو عابس مترع برائحة الموت والبارود .
أرأيت الى من مكان اعمش كثير الاغماض ، يتلهف بحسرة مريرة
الى بصر من حديد ، ويخاف غيب الضير خوف الاعرج من مقعد الكسيح .
هكذا غدونا نتلهف الى معوان نصير ، بعد أن أغلقت دوننا حكومة
الرعي الاول ، حكومة العبيد البيض ابواب الرجاء ، واطبقت علينا
مرهقات الاستعمار ، وكادت معركة الاحصاء تقترب من اليوم المحدود .
فماذا ترانا نصنع ، أنحوض معركة الاحصاء بقلوب عامرة بالايمان
واثقة من النصر الأخير ؟ هكذا سنفعل ، وان استطعنا فسنجعل من
الواء قرطاجنه ثانية في الأرض .

الغمرة الدامية

أرأيت الى الواحة العاطرة ، تهجم على فراش الصحراء ، كيف اذا اجتاحتها هوج الذاريات ، تعبت بأمنها المذب ، وتروع اطمئنانها الحالم وتغمرها غمراً بالرمال ؟ أتراها تستطيع أن تخرجها من عالم الصحراء ؟ وأبيك لن تنال من مستقرها المكين منالاً صعباً .

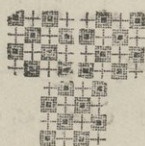
هكذا كان الجيش الافرنسي في أوائل أيام الاحصاء يحتاج الارياض العربية عسوفاً كالذاريات شدة وعتوا ، ولكنه لم ينل من عناد الشعب العربي مأرباً ، بل ظل الشعب راسياً أمام مهب الهول رسو الجبال الشماء الهازئة بعصف الخافقات ، يدافع عن حقه المقدس الدفاع الضارى المستميت .

أرأيت الى الطود المتعالي الأشم ، يسربل هامته الانوف بالصخور الصماء ، ويمكث بالارض فخوراً بسرباله الصلب ؟ كيف يغدو متمسكاً من أعالي ذراه حتى نهاية سفوحه ؟

هكذا كان الشعب العربي يخوض غمار معركة الاحصاء صفاً واحداً ، ويحتضن عروبه بحنان واجف كحنان الامهات ، حتى اذا دحر الدعوة التركية وربح الجولة الاولى ، أزاحت السلطة الافرنسية عن وجهها قناع الحياء المزيف ، واعتبرت معركة الاحصاء معركة السياسة الافرنسية العليا ، فقذفت الى الريف بفصائل من الفرسان ، كانت تجوس القرى العربية فساداً وإجراماً ، وتكره الفلاح الآمن على الاستترار بشتى اساليب التنكيل والتعذيب

* * *

ولو رأيت كيف دام الجيش القرى بوميض الحراب ، وشرد
أهلها سكارى بالعذاب ، لرجعت بخيالك إلى الدور الحجري، يوم كانت
الهمجية بكراً وأنت تقول :
ما بال همجية القرون الاولى ما انفكت تتخطى رعناء في نفسية
الضابط الافرنسي ؟ ألم تمسه يد التهذيب الحضاري بنصيب من الخلق
الانساني ! فليت شعري اين ضاعت عصور التقدم والنور ! ويا لشقاء
الانسانية حتى يدك آخر صرح من صروح الاستعمار العالمي، فيغدورسوماً
دارسة في يباب التاريخ .



الضحايا الثلاث

هلم بخيالكم معي الى منبسط فسيح من وادي العاصي . تجدد قرية عربية عكفت تقديس فورات ينبوع قراح نير ، يلتف حولها كأفعوان رمادي ، ويروي مزارعها سخيا وينساب تهادياً الى بعيد ، فتساب وراءه دنيا سندسية زاهية خضراء ، ان اودعتها الطرف رائدًا ، وأهداب الشمس تخضل بالنور الشاحب المريض ، ارتد حالمًا كأنه يرود في جنات الخلود . كذلك ترى كيف كانت مفرزة فرنسية تطوق القرية داراً داراً بأسوار من الحراب ، وكيف كان ساح القرية حشدًا قروياً مياداً ، وقف امامه قائد افرنسي ، يتختر على صهوة جواده كفارس أسطوري . حتى اذا ألقى أمره صارماً ، طرق الأسماع مدوياً كزفير الالهيب ، متجهت الوجوه واربدت الأنفوس ، ومارت بالقيظ المحموم .

وهنا تنادت فتية القرية الى الندوة ، وتشاورت فيما بينها ، فأقرت التمرد على أمره ، وتبايع ثلاثة شبان اشداء على الموت او يهلكوا دون افتتاح سور التطويق ، حتى اذا جاءوه بغتوه فجأة واقتحموه عنوة وانطلقوا منه بسرعة الريح وباتجاه مركز التسجيل . . ولكن سرعان ما تصوبت اليهم افواه البنادق ترسل اثرهم وابلا تلو وابل من النيران ، حتى اردت الاول قتيلًا وصرعت الثاني طريحاً ، غاب الثالث متوارياً في حنية الطريق ومن خلفه الطلقات تبرر بالصدى الخفيف

أترأه يدرك مركز التسجيل حيا ام يجندل على الأرض قتيلًا ؟ لقد ادركه جريحاً ويده تقبض على جرحه المميت ، وأوغل فيه يقول بصوت أبح خفيض : سجلوني عربياً قبل ان اموت . . . سجلوني عربياً . . .

وجنح بنفسه الى الارض خائر القوى ، يبعث بأنينه شاكيا للسماء .

* * *

وكأني أراه طريحا على الأرض شاخص البصر ، والأعين ترمقه
خاشعة ساكنة ، قائلة بارتعاش الدموع : بمداد من دمك سجلت نفسك عربيا ،
فم النومة الأبدية ، قرير العين . . . فأنت . . . أنت عربي .



الدماء تتكلم

أرأيت إلى الزهر الفواح ، يحلم بنفسه ثمراً يانعاً للذيذاً ، ويهفو فوق
فوق الاغصان هفوفاً ناعماً ، كيف إذا باغته ربح صرصر عسوف ، يتهاقت
على الأرض صامتاً كنديف الثلوج ؟
هكذا كنا في شدائد معارك الاحضاء ، تنهافت على الموت كالزهر
منثوراً بأدراج الرياح ، والموت يبرز إلينا بأهاب افرنسي ، ويتلقف أنفسنا
من الأسننة الوامضة ، ويختطف أرواحنا من القذائف الطائرة ، حتى
إذا سالت دماؤنا على شبا الحراب ، وانطلقت بالكلمة الخالدة : « في
التاريخ نخط سطرأ من تاريخ الجيل العربي الجديد » ؛ تغافى عن قتائنا
كظلياً ، ما أظن تغافيه الا خبثاً ومكراً .

* * *

وهناك استبان لنا أن الشعب سجل في القائمة العربية ، بأحرف من نار ،
عدداً من العرب أربى على ٦٥٪ من ضامة السكان ، عدا وادي
العاصي ، فهو لم يقدم إلى مراكز التسجيل عربياً واحداً ، وما زال
مطوقاً بقوى الحشد الوحشي ، ثم تبين لنا أن الدعوة التركية تلتقطت من
حثة العرب تسعة وعشرين شخصاً تسجلوا اتراكاً .
فتأمل كيف أفنيينا جهود دعاة الاستتراك بدداً ، وكيف رمينا السياسة
الافرنسية بالخزي والعار ، لندرك أن الدم العربي أقوى من الموت ، وأشد
عتواً من بأس الحديد ، وأمضى عزماً من وهيج النيران ، وأن
الولاء هو المنبت الاول لنواة الجيل العربي الجديد .

نجوى الصمت

من اسكنون الى مهاجر العرب

ان من كان واجداً صوفياً ينظر الى الأرض باهداب السماء ،
حتى اذا كان شقيماً بالأرض ، تقانى بحب السماء وهو سعيد .

فماذا علي من خير اذا نظرت الى نياز باهداب المثال ، ولبيت ندائها
ليلاً وسميت الى مزارها مشوقاً ؟ أواه ! لا استطيع . . . لقد أوجست خشية
من طرق دارها سحراً ، فيممت شطر البحر واشباح الظلام تثوي فوق
الموج كالعجائز الهرمى ، فلا صخب ينقّر الصمت من البحر ، سوى
غمغمة الأمواج تداعب حصى الشط ، وتدافعه برقة ولين وتهوي به تارة
بعد أخرى ، فيكر الى مثنواه راجعاً وهو يتم بصوت عذب اشبه بقهقهات
فتيات صغيرات ، وهن يرقصن في فرحات الأعياد .

ومع أن الصمت كان يكاثّر نفسي ، ويجعل مني اثنين في واحد منسجم
أنيف ، لم اكن اشعر بسرور ، بل كنت قلقاً مضطرباً ينساوش
نفسى هاجس أرعن ويسائلها قائلاً باستهزاء :

مالك تراوحين وتغادين حيرى ؟ أنت سحابة صيف هائمة في سماء
صحراء تتجاذبها الرياح من هنا وهناك ؟ ألا ترين كيف ان الليل
يلوذ بالأفق هروباً من بقضة الفجر ؟ ألا ترين كيف كاد الفجر
ينفض من الأفق مشيحاً حشرة الليل بعبرات بيض ؟ ويحك
يا نفس ! لم تظلين في حيرة بليدة والصمت يتملعل خجولاً من المكوث
وحيداً حول البحر ؟ . أتريدين أن أطرق مزارها زائراً ، وعين الفجر
ترتعش بالضوء ؟ ويحك لا استطيع ! . فهيا عودي من حيث اتيت
ودعي الصمت وحده كئيها ، حتى اذا باغته ضجيج النهار ولى هارباً !

صرخة القلب

أرأيت الى الريحانة العطشى ، تحتسي الري قطرة قطرة من أعين
ينبوع ضنين ، باتت أجفانه كثيرة الاغماض ، لا تهلّل بمبرات الاعماق
الا نادرا كيف تذوي كاسفة حسرى ؟

هكذا رأيت « نياز » وأطياف الحسرة تختلج بعينيها الخضراوين
مضطربة حائرة ، وهي تقول برجاء لحوح :

بربك يا مصير . . . غادر اللواء مسرعاً ، فقد نفي إلي أن
السلطة الافرنسية بيّت النيّة لارغام العرب على الاستتراك بقسوة
الحكم العرفي . وسكنت تنظر الي نظرة عبرى ، وتأوهت زافرة
واسترسلت قائلة : وقد اختارت لذلك القومندان كواليه ، وما إخالك
تجهل ذلك الفرنسي . . الم تره يروض الجندي المرتزق على الوحشية
ترويضاً مخوفاً ، ويجعل منه وحشاً كاسراً جائئاً يلتهم الدماء ؟ .

ولما تيقنت أنني عزوف عن ارادتها ماضٍ في امري ارتعشت رعشة
حادة ونفر الدم الى وجهها قاينا ، وهتفت بصوت متعجد بالالتياح مصير . .
إن الامر لأعظم مما تظن ، أحسبت بقاءك هنا يجديك نفعا ؟ وسكنت
فترة ترمقني بجنان ثم مضت تقول : رحماك . . . سافر الى أين
سئت ، أو توار عن الانظار ، ترحمني وترحم شبابك الغض . . ثم
راحت تخاطب قلبي بفيض الدموع . . فانبعث من اهدابها الخضلة
بمبرات الرحمة برق وحي الهي أوحى إلي بالبكاء ، فانتفض الدمع في
عيني ثائراً ، وكاد يتصبب من أجفاني مدراراً ، فغالبتة وغالبي

وغدوت حيران لا أدري كيف أقهر دمعني ، واكفكف عبرات نياز ،
حتى مالت الي بقلب أبيض تقول : برك قل لي أتعذني وعدا مقدساً أن
لا تنشط لأني عمل سياسي ، والأحكام العسكرية جاثمة فوق ديار العرب ؟
وسكنت تنتظر جوابي بقلق مهتاج ، فوعدها ضاحكا وأنا أعجب كيف
يغدو الكذب ضرورة اجتماعية لا مفر منها !



حكيم الذئاب

إن من كان يقترب رويداً رويداً من فوهة بركان مضطرب مهتاج يقذف حمماً وشواظاً ، لن يخشى انقضاء الصواعق تنهاوى عليه تترى .
هذا ما قاله زعيم عرب اللواء ، ونحن جلوس في بهو المندوبية الافرنسية ، نرسل الى المندوب النظرات الحمراء وهو جالس امامنا بصلف وكبرياء يتفرس في وجوهنا واحداً تلو آخر ، ويوزع ابتسامات ماكرة ناعمة ، ويحيينا فرداً فرداً حسب التقاليد العربية .

وما ان تحدث عن قضية اللواء حتى تميز الوجوه من الغيظ ، واحمرت الأعين من الغضب ، وكادت تومض لها ، واليك طرفاً هاماً من حديثه الخطير :

« لقد آن لي أن أفاجئكم بهذه الحقيقة المريعة . . . إن فرنسا قررت أن تتخلى عن لواء اسكندرون للدولة التركية ، فلا مرد لقرارها ابداً وان سالت الدماء جزافاً ، فهل لكم أن تتفادوا سفك الدماء بهذا الاقتراح ؛ وهو أن تمنحوا الاقلية التركية اللوائية من مجلس اللواء التشريعي اثنين وعشرين مقعداً من أصل أربعين مقعداً فحسب ، وبذلك تصونون دماءكم من السيلان ، واموالكم من البوار ، وقراكم من الدمار ، فذلك هي السياسة الافرنسية العليا . »

وهناك انبرى له زعيم ريفي ، وخطبه قائلاً بصوت جهير :
لقد قيل قديماً ان العائم يتجان العرب ، والحقيقة ان العائم اكفان العرب ، وليس يهاب الموت من كان يتعمم بكفنه ممسيا مصبها ، وإن ما نهدرنا به من قتل وهلاك ودمار ، لن يرهبنا ابداً ، فلك ان

تسلك في سبيل سياسة فرنسا العليا اوعر سبيل . فأجابه غاضبا : لا
إخالك تجهل ما للدولة الافرنسية في الشرق من جيش جبار عظيم ، ان
اضرم نار القتال في حلك الليل جعل دجاء نهارا . فقليل له : هون
عليك ودع التهديد جانبا . . . وقال آخر بهدوء : على رسلك يا حضرة
المندوب ، قل لنا : ماذا نصنع اذا اتخذت الاكثرية التركية في المجلس
قراراً خطيرا يجتز اللواء من ضامة الجسم العربي ، ويضمه الى الدولة
التركية ؟ الا يعتبر هذا القرار في العرف الدولي شرعيا ؟ فتامل
وقال : هذا هو اقتراحي الوحيد ، فتشاوروا فيما بينكم ، وآب واقفا
وهم بالمسير ، فناده سيد من الريف : مكانك قف يا حضرة المندوب !
فليس في اقتراحك مجال للتشاور ولا موضع للجدل ، فاني ارفضه باسم
عرب العمق ، وان قلت للسيف دونك هذا العربي - وأشار الى
نفسه - مزقه إرباً إرباً . فلن تراني أسلم باقتراحك ابدا .

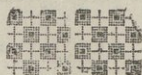
وهنا سرى بأنفسنا ضرام الحماسة سريان الكهرباء في جو تضاربت
فيه الغيوم ، وقال قائل من وادي العاصي : تلك هي كلمة العرب ، نقولها
غير مباليين بالموت والهول ، فهيمن علينا بنبرات صوته الحماسية
هيمنة وقوراً وسادنا صمت مهيب ، وآض المندوب الى نفسه يفكر باستغراق ،
ثم خرج من تفكيره بنول بصوت جديد : لست ممن يظاهر
السياسة الافرنسية العليا في قضية اللواء مظاهره عمياء ، فلن
أدعمها بسفك الدماء ، واشهدكم أنني مستقيل من المندوبية منذ اليوم ، وصحت
فترة يفكر مطرقاً ثم رفع رأسه قائلاً :

والآن احذثكم كصديق . . . وارجو رجاءً حاراً ان تضامنوا
للأمر الواقع ، قبل ان يأتيكم حاكم عسكري خشن الطبع شديد ، يرغمكم
على الاستسلام ارضا ، فقليل له هنالك نستقبل الموت بالترحاب الجميل ،
فتلك هي شرعتنا من قديم ، وقال له آخر : أليس جميلاً بالدولة الافرنسية
ان تفتح الثغور للجيش التركي فيوغل باللواء ايغال الفاتحين ، من ان

تسفك الدم العربي ظلماً وعدواناً ؟ فاجاب كئيها : ما كان لفرانسا أن
تغادر اللواء الا بصورة شرعية تبرر التزامها الدولية تبريراً سوريا .

* * *

وهكذا انفض مجلسنا لدى المندوب ، ومضى اقتراحه الى سجل
التاريخ ، فياله ذئبا كامراً وقف عند الخطوة الأولى وقفة طاقل حكيم .



ربيب «السين»

إذا سرحت بانسياق شارع الجسر ، والميل سكران يحتسي
ضوء القمر احتساء المدمن لرحيق الصبء ، ينتهي بك خارج العمران الى
بقايا دار مهجورة قديمة جاورت نهر العاصي ، منذ كانت أبو العلاء المعري
نزيلاً في هذا البلد ، يغترف العلم ويماري الرهبان ، ثم قف هناك
منتظراً . . . حتى إذا انتهب الليل غياب القمر ، وجنّ على الدار حالكا
مدلها ، وغيب مثواها عن الأبصار ، تشهد أشباحاً سيداء ، تتسربل
بالظلام ، وتتوافد الى الدار زمرة بعد أخرى ، وتطوف حول الدار
بمهاة السيوف ، وتتخايل بوميض النار ، لكل من دلف اليها طارقاً
أو جاءها مقتحماً ، فتتساءل حائراً: أهنا محشر أعد لرقص الشياطين ؟
أم هنا يمكث سر خفيف ؟ انه مقر القيادة العربية في جوف الليل .
وعندما يتنفس الفجر يصبح مستقرها مغاور الجبال ، وذلك بعد أن
نشر الكومندان كولييه الذعر بين العرب راحماً شديداً ، وطرق الاحياء
العربية عانياً متعسفاً ، فروّع الاطفال وأرهب المخدرات ، وأهال المقصورات
واختطف آبائهن وأخواتهن وأولياءهن ، وزجهن افواجا في غياهب السجون .
وتمادى على قدسية العدالة فانتزع من أقفاصها الحديدية مجرمي الاثراك
وجندهم دركاً ، وقذف بهم الى الريف العربي فرقاً فرقاً ، وهو يقول :
اني أحل لكم هدر دماء العرب ونهب اموالهم ، وهدم قراهم ، حتى
يأتوني مستتركين صاغرين .

فيا ليت شعري أفنشت الدولة الافرنسية أدغال غاباتها ، وتحررت غيران
جبالهما ؟ فلم تجدد وحشاً ضارباً يمثل الممجية الافرنسية التمثيل

الوحشي ، حتى انتدبت لذلك القومندان كوايه ؟ أم تيقنت أن بربرية
العصور الغابرة ما انفكت تتجمع في نفسه عصباً عصباً ، وما انفك
يعيشها بغريزة الحيوان المفترس ، فآثرته على الضواري ، وأقامته علينا
حاكماً عسكرياً وهي تقول :

هذا ابن (السين) ، ربيب الحضارة الافرنسية طفلاً وشاباً وكهلاً ،
قد جاءكم يتوج المدينة الغربية بأكليل الخزي والعار ، وبعميد سيرته
الأولى في أعالي جبال العلويين ، وفي بطاح دمشق وربوع حمص . . .



القلب الأخضر

إبان غرة الربيع ، يحبو سهل العمق الى الغرب حقلا أخضر زاهيا ومرجلاً عشيباً ، حتى اذا استقبل سيف اليم الأزرق مخضوضراً مزدهراً ، ونشر أريج عطرياً ، وحمّله رطوبة المياه ، رده الى رحيبه رطيباً منعشاً ، يخطر هنا وهناك تهادياً ، ويفتش عن فتاة عذراء تسرح بين نواعس المروج لتستاف نواحه جذلى ، وهي لا تدري أنها تستاف خمرة الربيع .

وفي غضون الربيع ، ترى السهل يحتمل بقلبه الأخضر الرحيب بحيرة العمق نشوان فرحاً ، فتموج فيه طرباً وسروراً ، وتنادي اليها الغدران بتمتمة أمواجها الهادئة ، فتسابق اليها انسيابا بين المروج الخضراء ، وتجنح الى أحضانها تراميا وباستسلام جميل ، كغادة سكرى تستسلم للكرى على فراش وثير

وفي نهاية الربيع ، ترى كيف تنداح المزارع شمالاً وجنوباً ، وتهادى صفراوية الوشاح ذهبية الأمواج تصافح سفوح الجبال من هنا وهناك بارتعاش ، وتضطجع على أطرافها بذهول حالم ، وتنام النوم الهادى العميق كأنها ليست على ميعاد وصيل منجل الحصاد ، فتبدو وهي هجوع كطفل قروي شاحب ، اتكأ على ساق أمه بسكون وديع .

وهذا السهل الحالم يبدى الحصاد ، غدا مرتعاً لاجرام الدرك التركي ، وميداناً تتسابق فيه جنود كويليه الى الاثم والمدوان ، وبات العربى في ربوعه شربداً طريداً ، لا تجيره عدالة ولا يستجير بظلم ، وخشيان منعوراً يلاحقه الموت من ساعة الى اخرى ان لم يطامن للدرك التركي مستتركا ،

أو يقدم الرشوة صاغرا .

* * *

أرأيت الى المدلج في الظلمة الداجية يسلك الدرب الموبوء بالشقاوة
والأجرام كيف يتوقع من طوارق البيم تزاماً أحـمق ضريرا يحيق
بجيانته ساحقاً مهلكاً ، وكيف يغدو قلقاً حذرا وهو هلوع ؟
هكذا اعيش في سهل العمق بجحيم الحذر الشديد مطارداً من خيالة
الدرك التركي مطاردة الأشقياء ، حتى أتي لا أكاد أستقر في قرية
أكثر من ساعة أو ساعتين ولا أدري متى ألتقي ويومي الآخر .



جثث تنطق بالدماء

أول ما اطل علي القمر بوجه أرجواني ، كوجهه جريح تعصب بالدماء ، وأنا أسير وشط البحيرة حذراً قلقاً ، وما ان استوى على عرش السماء منيرا ، حتى رأيت نهود الأمواج تتسابق الى الشط تترى ، وتختضر فوق الرمال السوداء موجة بعد موجة بلا صخب ولا هدير .

ونجاة لحت من بعيد دخاناً هائلاً ، يتصاعد كثيفاً ، ويسرح في السماء انسراح الغيوم ، ومن تحته أشباح من لبيب ، تراقص رقصاً جنونياً وتدور دوراناً مرعباً ، كأنها وهي تمور في رحب المروج الخضراء جحيم صغير ثوى في قلب روض نضير ، فلكزت جوادي بقسوة ، فانطلق بحري جري الرياح ، حتى أتى ملاعب النيران ، جاذبه العنان بشدة فتسمر بالأرض يحجم مقهوراً ، فترجلت عنه مسرعا ، وألسنة اللهب تلتهم أكواخ القش وتندلع الى بيوت السكن شيئا فشيئا ، والقريّة خالية من السكان تستمع الى زفير النيران حسرى ، كأنها الأم تصغي الى حشرة طفلها الرضيع وهو يحتضر في جوف الليل .

وهنا وقفت مكاني متبلورا والهواجس تتناهي زمرا ، حتى تسرب الى اذني انين خفيض مضيت اليه قدماً فأريت شاباً جريماً طرح على الأرض وحيداً يعاني سكرات الموت ويقلب رأسه يبطء وتوان ، فهاني مرآه هولا شديدا فدنوت منه مرتعشا أرسل اليه النظر خاشعا ، وأنيته آخذ بالانطفاء رويداً رويدا ، حتى اذا ناديته ، تفتحت عيناه بأعياء ورام النطق فأعياء ، ثم أومى بينانه للسماء وفارق الحياة وبنانه الآخرس كأنه يقول : دمي هدر بسيوف جيراننا الأتراك . . . لله دمي والك يا عروبة اللواء . فأودعت

بنانه المبتل بالدم رنوة الأسي ولامسته بقطرات الدموع ، حتى شـعرت
بمد تهز كتفي هذا انتفضت واقفاً بوجل واذا بي امام شيخ عجوز
أشبه بهياكل الموتى يتكى على عصا ترتجف تحت يده ويقول بصوت
متلثم : أنت هنا ؟ ألا تدري انك المنشود ؟ وتنهذ زافراً ومضى يقول :

حسبنا... هذا وذاك القتل فسارع بالمهرب ولكن هلم معي لأريك... ومشى
يجر قدميه جرّاً فتبعته خطوة خطوة ، حتى قادني الى بيت حقير أنير
برعشات سراج خفاق قال بصوت متهدج مخنوق : أنظر... هذا ما فعلت
أيدي مجرمي الأتراك ، ثم انكب على جثة قتيل شوهدت معالم وجهه
تشويهاً منكراً ، وراح يوسعه لثماً وتقبيلاً ويجهش بالبكاء الصارخ المرير
حتى صار بكأوه أنيناً بدأ يغيب في صدره شيئاً فشيئاً ؟

وهنا عكفت عليه أتحسس خفقات قلبه ، فإذا هي صموت وهو جثة خرساء ،
نامت فوق جثة كانت تنطق بالدماء وتخاطب الأرض قائلة :

يا أرض العرب سوف تظلين عطشى لدماء الشهداء حتى ينبعث الجيل
العربي الجديد ، فيضرب الدخلاء الظالمين بأيدي من حديد .



وثبة الاعزل

أرأيت الى الدوح الباسق الغابي ، يعمر في الارض دهرا ، كيف اذا اجتاحه سيل عارم هدار ، يترنح ساخطا ويتضرض متبرما ، ويظل مشمخرا ، يستمع الى هدير المياه جذلان بمناعته المُرْشَى .

هكذا كان الشعب العربي يعاني ضراوة الأحكام العسكرية الفرنسية ويكابد التسلط التركي على دمائه وأمواله وقراه ، ويقارعها سكيناً صابراً صبر روائي الرمال على وهج الرمضاء ، ويتسامى على الاستتراك نفوراً بقوميته ، معترفاً بذاته ، منيعاً بعناده ، حتى اذا كان المثل الأعلى بقوة الشكيمة والمزم أهاب بكبير برابرة الاستعمار الكومندان كولييه ، الى إيقاف حملة الارهاب يائساً من اكراه العرب على الاستتراك ، وحدا به الى التخلي عن امتازة القتل والاجرام ، والى تهديد المفوضية العليا في بيروت بالاستقالة اذا لم تجد من أمره مخرجا .

وهكذا كرت الايام والبربرية الفرنسية تهادن العرب ، وبيروت تتصل بباريز وباريز تتشاور وأنقرة ، حتى أقرتا معا عقد مجلس عسكري تركي افرنسي في مدينة انطاكية ، يبت بمصير اللواء نهائياً واختارت له ميعاداً قريباً تسفر فيه السلطة الفرنسية عن آخر وجهه طاهر ، لسياستها العليا نحو الشرق العربي . فتلك هي مأساة العرب في لواء اسكندرون .

أرأيت الى الليل سحجراً وتأملت كيف يفلت الضوء من قبضة الأتقي غازياً طباق السماء ، وكيف يمين للسابلة الضليلة أعلام الطريق ؟
هكذا أضاعت لنا مأساة اللواء عن الطاقة العربية فهي باضوائها السارحة في اتجاه الزمان ، ستعلم الشعب العربي كيف يموت ، ومن تعلم الموت خضعت لجلاله ذرى الشاخات .

جذور الذرى

أرأيت الى سلاسل الجبال السارحة في آماذ الارض بعداً قاصيا وهي تخفض
من شموخها الصرح تلو الصرح بانحناء متئذ وتهبط رويدا رويدا ، حتى
تتساوى واديم السهول ، كيف تتعدد في صروحها مسالك الدروب وتوطأ
ذرواتها الصاعدة بلا جهود لاهثة مريرة ؟

هكذا امست ديارنا شبيهة بالجبال الخافضة من كبرياتها مدارج لارتقاء
ذراها الشاخمة ، فكيف لا تتكاثر درل الاستعمار في اقطارنا ، والدرب
الى صعبنا هين ويسير ، وكيف لا تغتصب خيراتنا والطريق الى اغتصابها
مهدد وامين ، وحتام تظل آلامنا حبلى ، لا تتهخض عن حدث عظيم ،
يسربل العربي بسربال التجديد والتعظيم ؟

أرأيت الى الطود الضارب في جوف الارض وتدا راسخاً ، والبالغ
من السماء علواً شاهقاً هائلاً ، والمتوحد بالفقر توحداً مروعاً ، كالجرج
متوجاً راسه بكوى النيران ، كيف يأبى باستكبار شموخ ان يشهد
درباً يتسنى صرحه انسياً وبوقع التردد في قلب من يأتيه متسلقاً ويرومه
مسكناً .

فلو أننا غدونا كالطود راسخاً ، بالأرض مشرعاً للسماء يتلصص مسارح
السحاب ، لما شهدنا اليوم في مدينة انطاكية ، انعقاد مجلس عسكري
يضم قائداً افرانسياً وآخر تركياً ليقرر مصير اللواء ونحن خرس صامتون
صمت الصخرور الكثيفة المتعلقة برءوس الجبال الجرداء ولما رأينا القائد
الافرانسي وهو يمر اتفاقية انطاكية ويقول : الآن غرسنا بين العرب
والأتراك نواة عداوة رعناء تتوارت جيلا جيلا ، واتخذنا من تركيا

عدوا تقليديا للعرب ، يناوىء البعثة العربية الكبرى .
أكان هذا الافرنسي يهذي هذيان الطفل الغرير ؟ ألا يدري ان
الشعب العربي بحر لحي مار في غيابة الاعماق باضطراب خفي ، حتى اذا
ركب اضطرابه غوارب المياه غدا صاخبا هائجا ، فلا يدع سفينة تجوس
خلال الأمواج ، الا وهي فريسة لغياهب الأعماق ، فما شأن تركيا
بعالم الاستعمار عالم الحديد والنار ، ونحن نتفتح للموت لنقبض على الحياة .

* * *

ولكن أتدري ان هذا المجلس حدد ميعادا قريبا لا يغال الجيش التركي
في ربوع اسكندرون وان الحكومة الوطنية ما زالت تقبع على ارائك الحكم
والنوازل تنيخ بساحاتنا اللواء فيا لشقاء عروبة اللواء في آتي
الزمان حتى يولد الجيل العربي الجديد .



كيف اعانق مصيري

لقد غدا مثلي في الوجود ، ولواء اسكندرون يمانى مصرعه الايم وحيدا ، كمثل بحار قديم أبحر في شراع صغير ، ضاربا لجج بحر هدار ، مجبول المدى ، عميق القرار ، وهو يتأرجح فيه تأمها يائسا ، ويرى شبح مصيره يغوص في جوف الماء ، كلما لطم شراعه عتو الأمواج ، ويطفو عائما من جديد كلما تباعدت عنه الأمواج قليلا .

فاما ان يستسلم الى مشيئة الأقدار خانعا والموج يلقفه مزبدا ، واما ان يعانق مصيره باسما ويغوص في غياهب المياه صامتا ، فان له في كلا الحالتين موتا محتما ، ولكن روعة الموت هي في استقباله بالصمت الجليل ، وبالبسمة الاخيرة تلونها السخرية من المأساة ، سخرية البطل الجاهلي من الميتة الحاملة في خباء غص بالنواح والعيول .

هكذا اراني اعانق مصيري راضيا ساكتا ، واغوص في خضم الشقاء شيئا فشيئا ، غير اني افكر بمصير نياز ، فكيف افكر واقرر واختار شئت الرأي حاراً ، ولكن لا بد من القرار ، ولا مناص من الاختيار ، وطيف نياز يلاحقني باستمرار قائلا من بعيد : رحماك فكر بامري يا مصير ، ورسالتها الاخيره تنتفض في يدي قائلة بالتياح وأسى :

أي مصير ! قيل لي انك أبت من الريف ، فسعيت اليك حري ، لعل احسك برداً فابتدد ، او احسك سعيراً فاحترق ، فان لي بين عذوبة شفيك نفحات من جنة او لفحات من جحيم ، وليسوء طالعي لم ارك . فقيل لي انك قصدت الريف مرة ثانية ، فأبت من حيث اتيت حسرى وطيفك

الكريم لا يريم من خيالي ابدا وانا اتحسسه مشوقة ولهي ، وكأني اتحسس هباء
وانظر سرايا - أأنت طيف من سراب يجري رقراقا في رحاب صحراء ،
هكذا أصبحت أراك ، فيا لجدي العاثر متى اصل اليك ، ويا لشقائي في
الحياة إن تراميت جريحة على درب دنياك .

أي مصير ! ها قد انتهى كل شيء وارتدى اللواء ثوبه الجديد . فبربك
دعني مدثرة بوشاح هواك ، تحبُ بنفسني جمرات وجدي الصارخ العريد
وبنم ارتياني بسوء مصيري الى حين .

اواه ! ! ما عساني اصنع بمصير نياز وفؤادي امسي بعد مصرع
اللواء سعي حقد مهتاج ، يريد ان يتصبب حمما على غاصبي اللواء ، وان
يتمرد ثائراً على نياز ، وهي الفوح المنعش الرطيب ، يهب علي عاتراً
مسكراً ، فأنتشيه نها ، وكنت به مخموراً . . .

فكيف اوفق بين ولهي العنيد وبين كرهني الشديد لمنابت الاتراك . رباه
لاستطيع . . . وسوف اغادر اللواء ونفسي جهنم من نزاع عنيف لا يخمد
اواره أبداً إلا برأي حازم قاطع بامر نياز .



الى اي مصير ازدلف ؟

ارأيت الى الدوحة الباسقة المعمرة بالأرض دهرا تتحطم بضربة قاضية من شرارة صاعقة كيف تهوي متألمة صارخة وتترك جذورها في جوف التراب حسرى تختلج بالحياة ؟

هكذا غدا مثل عروبة اللواء بعد ان تحطمت غدرا وغدا مثلي كجذر من دوحة أجنه التراب مواراً بالحياة ، فكيف لا اشعر وأذ على أهبة الرحيل اني انتزع من جوف الأرض انتزاعاً وأطاني حسرة جارحة وأكابد ألماً فانياً ، وأود لو اغدو نسرأ من سور جبل حبيب لأتخذت من ذروته العليا قنا مستوحشاً آوي اليه كلما اغبر وجه المساء وكلما فتر وجه الصباح ، أشيع نهر العاصي واجماً وهو يتصوب الى البحر حزينا يائساً ، وعند الظهيرة ارسل طرفي الى الراية الخضراء عاصراً بقبل الرموس بالدموع ، ثم أطلق جناحي للريح هائماً على غير هدى ، حتى اذ وجدت أثراً عربياً قديماً ، عفرت رأسي في غباره شجيا فان فيه شذى العروبة بكرا وان لي في كل أثر عربي طيباً من رفات اجداد عظام خالطت ذرات التراب من مئات السنين ، فكيف لا أتوق حينئذ الى منبج الاصيل ، وأنا هيكل من تراب وادي العاصي ، وكيف أرحل عنه رحلة لا أوبة بعدها ابداء ، ولكن لابد من الرحيل والجيش التركي يربط عند الثغور على أهبة الزحف وقد يكون زاحفاً في وادي ميلان يجلجل مدوياً كجيش ظافر عظيم .

رباه الى اي مصير ازدلف خاوي الوفاض لا املك من متاع الدنيا شيئاً ، سوى قلب مكلوم جرحته الأشجان ، أزدلف الى مصير مجهول

ماتم كعتمة الكهوف ؟ هكذا اراني اسير فنعم اي مصير رسمته لي
عروبة اللواء .

رباه !! ان يوم الحساب آت وليس يبعيد وانا معشر العرب أمة نهضة
للحياة انتشرت شموها حول شيطان بحار عظام ومن ورائها تسرح رحاب
الصحراء ، فمن عناد البحر وهو يلاطم جلاميد الصخور نستلهم التمرد
على الطغيان ، ومن آماذ الصحراء وهي تتلمس مدار الآفاق نستمد القدرة
على تحمل المشاق ، ونمتري الصبر على قتال الأعداء ، فلن نطامن
لطاوغيت الاستعمار ابدا ، ولا بد لنا من أن نخلق يوما اغبر تاريخنا
فيه نقول : لجيراننا الاثراك كلمة من حمم الشواظ . . . ارفعوا أيديكم
عن اللواء فالعروبة تقيم هنا ما أقامت جبال اللكام .

* * *

وهذه آخر رسالة سطرتها لك متحدثا عن مصرع اللواء وأنا
أهم بالسفر السريع



فصل في بيان النيات العينية

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الرابع

انبعاث الذات العربية

من حلب الى صحرى العرب

أرأيت الى مدينة صحراوية أثرية ، كانت في غابر لزمان مرتعاً لهـوج
الذاريات ، كيف تقبع ركوداً في ركام الرمال ، وكـوى أبراجها
تستشرف آماد الصحراء ، وتنتظر مسيل القوافل تتصوب نحوها من جديد
وتتقاطر اليها تترى ؟

هكذا امست الذات العربية الكبرى مثقلة بأعباء الجود تنوء بالركود
وتنتظر ميلاد جيل جديد ، يزحزح عن كواهلها أثقال السنين ، فتنبعث
للاحياء عظمة وشموخاً ، وتثوب الى سيرتها الأولى .

فأي فكرة خالقة عاتية تتمخض عن ميلاد الجيل المتيد ؟ ان كل
فكرة لاتولد من حركة الوجود العربي ، خطر يدهم نشوءنا القومي ويقلص
امتداد الشخصية العربية التاريخية من أنفسنا الى حين ، اذن فنحن
بحاجة قصوى الى فكرة حية جبارة ، تنبثق من حركة الوجود العربي ،
ومن تفاعله وخلايا الانسانية ، كي تعبر تعبيراً عميقاً عن تطور النفسية العربية
وتطلعها الى التقدم والرفق ، حتى اذا غدت حبلئ بمقتضيات الحاجات الانسانية
تلد عباقرة واعلاما يبعثون الذات العربية من مرقدتها الطويل ؛ لهذا لابد
لنا من فكرة مبدعة تجعل الانسان العربي يشعر بمسؤولية وجوده
الشمور الايجابي

فلتأمل الوجود العربي الآتي باستغراق لندرك كيف ان الشعب غدا
ينوء بمدة معتقدات بالية وتقاليد دريسة وعادات مزرية تخنق تطلعه الى

الحياة الراقية الصاعدة بيد من فولاذ ، اذن هو بمسيس حاجة الى
بعث جديد يبوّئ الأمة العربية ذروة الخلود .

* * *

أرأيت الى جبل شامخ عظيم ، يحمل ركام الغيوم صائفا شاتيا . وبنوء
بائقا لها صارا منهوكا ، كيف تنقلص نظرة استشرافه للأبعاد ، وكم هو
يحن الى زوايع هوجاء تهب عليه شديدة عاتية ، حتى اذا أزاحت عن
هاماته طباق الغيوم ، استشرف الأبعاد من جديد .
هكذا تحن الذات العربية الى عواصف الجبل الجديد تثور بعثو عنيد
حتى اذا طوحت بطواغيت الاستعمار والاستثمار تبوأ مكانها اللاتقي من
عالم الانسانية .

أرأيت الى السماء تتكهرب من تضارب السحب وتقذف الأرض
بسهام من نار ، تحمل حلك الليل يحيا لحظات في رابعة النهار ؟ .
هكذا الذات العربية الكبرى ، وفيها تمكث قدرة السماء وهي تغاضب
الأرض وتهلك باتساع أفاقها هوج الأعاصير ، فكيف يستقر قدم الاستعمار
في ديارنا ونحن العرب كالسما اتساعا وغضبا .



المفهوم القومي

إذا أردت أن تتعرف إلى عناصر القومية العربية ، فارجع الفكر قليلاً إلى حياة العرب في دنيا الجاهلية ، تر ذاتاً متميزة بنوعية خاصة ، تعيش الحياة بشعور عفوي حدد لها وجوداً منسجماً في خلاياه الصغرى متناقضاً في تهديد طاقته الكبرى ، وهو مطبق على الحياة متفتح للحياة ، محافظ متطور معا .

وهذا الوجود القديم انطلق من الجزيرة متفتحاً للانسانية تفتحاً قويا ، ذلك أن انطلاقه لم يكن طفرة طائشة لا تعبر عن نزعة أصيلة بالروح العربية ، وإنما كان واعياً لنفسه مدركاً مكاتته من عالم الانسانية ، تحذوه الارادة النبيلة ، وتسيره الدوافع الخفية إلى الخلود ، وتهدهد امانيه الحاجة المادية القصوى .

فلما شط الفتح العربي في اكتساح الارض ، وتفاعل ولفيف الامم تفاعلاً سريعاً ، نضب معين الطاقة العربية ، ففقد الوجود العربي الانسجام الاصيل ، ففدا وجوداً مضطرباً ليس له ارادة كلية ، ولا رغبة ملحة ، ولا امنية غالية كأنما ماتت من خياله جنة الأحلام ، فأمسى بمسيس حاجة إلى الاستعجاء الطويل وها قد استجيم حيناً من الدهر ، واحال إلى طبعه كل شيء دخيل ، ثم استفاق وجوداً آخر منسجماً ، ينزع إلى نوعية الذات السرمدية نزوعاً عفويّاً حاداً .

من هذا يتضح أن من أهم الميزات العربية التفتح النبيل لخلايا الانسانيه ، ولولا ذلك لما انبثقت عن حركة الوجود الجاهلي افكار جديدة لحياة انسانية جديدة ، ملأت الارض فكراً وابداعاً ، ولولا

ذلك لما قالت السماء للعرب : (كنتم خير أمة أخرجت للناس . . .) .
لذا أراني مفطوراً على التسليم بأن المفهوم القومي كان عند العرب
حركياً متطوراً ، وما زال حتى اليوم حركياً متطوراً ، أي أنه لا
يرتكز على فكرة قاصرة متبلورة تريد الطغيان على القوميات الأخرى ،
أو تضمر العداوة والبغضاء للإنسانية . وذلك إذ كان - أي المفهوم -
استجابة عميقة للتفتح العربي النبيل ، فإذا لم يأت وفيه جنوح إلى
النزعة القديمة فلن تكتب له الحياة أبدا .

فمن النظر إلى الحياة العربية نستخلص عناصر المفهوم القومي الجديد ،
هاك دنيا العرب . . . ترى شعوباً تحذب على الإنسانية وتجنح للحرية
وتتقارع الاستعمار وتنزع إلى ذروة الحياة الاجتماعية الراقية ، لذا غدا
المفهوم القومي مفهوماً إنسانياً ثورياً على الاستعمار اشتراكياً ثورياً على
أنماط حياتنا الاجتماعية الوضيعة .

وهذا ما يلزم العرب إلزاماً قسرياً باتجاه إنساني ثوري ، حتى إذا كان
لهم مصير دولي سياسي ، دعموا السلام العالمي بقوى فعالة هائلة ، وساهموا
في بنيان حضارة الإنسان الجديد .

ولك أن تتساءل : من هو ؟ إنه العربي من كان يعتبر اللغة العربية لغة
وجدانه وأداة تبين عن ومضات فكره ، كما يبين الطائر عن شجوه
وفرجه بالتغريد ، ومن كان يشعر بأن التاريخ العربي تاريخ له ، وأنه
نبشاق معبر عن جوهر الذات العربية في شتى العصور .



الامكانية العربية

لقد نخوض غمرات الخطأ الأكبر في الحكم ، على قابلية
الامكانية العربية لتمثل المدينة الحديثة ، قبل ان نتمين كيف كانت
الذات ، العربية تتمثل مدينة العالم القديم ، وكيف انشبت الى ادوار الخلق
والابداع ، ذلك أن النظر الى الواقع ليس نظر تاقب نفوذ ، اذا لم يسبر
مطاوي الماضي باحثاً منقباً كرائد أثري ، فمن الواقع العربي وغايه نتلمس
قدرة الامكانية العربية على التمثل وعلى إتيان شيء عظيم .

فهاك دنيا التاريخ ، ارسل الفكر اليها مستقصياً متبيناً النتائج العربي
عصراً فمعصراً ، حتى اذا تأمل في نقطة واحدة ، يتبين لك كيف كانت الذات
العربية تتمثل حضارة العالم القديم ، وكيف أحاطتها الى طابعها الأصيل
وانتهت الى ادوار الخلق المعجز والابداع الملهم والابتكار العجيب ، ذلك
ان الامكانية العربية حركية تتأثر وتتوثر ، وتتمثل وتحيل ، فهي منفعة وفاعلة
وأخاذة واهبة ، ومن الحالات التأثرية الانفعالية ندرك أهلية الامة العربية
لحياة التطور الدائم في التصاعد الحضاري .

فحياة كحياة العرب الغنية بامكانيات حركية وفعاليات حيوية أدارت
لولب التاريخ قرونا عديدة ، لن تمضي من وجودنا سدى وبددا ، ولها
بأنفسنا أعمق الأثر البالغ ، واذا لم يأت جيلنا بنتاج قيم جديد فان ذلك
راجع الى ان الامكانيات العربية عاجزة حالياً عن التمثل والتجديد ، تتأرجح
ما بين الانطواء على التراث القديم ، وبين التفتح الضئيل للأخراج والتوليد ،
فهي تتأثر بالشيء ولا تؤثر به الى حد بعيد ، حتى تحيله الى اصالة الطابع
العربي ، فتنتهي بالتطور التدريجي الى أوج ادوار الخلق والابداع والابتكار .

* * *

أرأيت الى نهر طاغ عظيم ؛ يفيض تأثها على اراض صخرية — موات
ما اهتزت بحياة الدوح الباسق الوريق ؛ فكم هو بحاجة قصوى الى
سواعد قوية تحول مجراه الى سهوب زاخرة برواسب التراب ، حتى اذا
انساب في مسيله الجديد عمراً خلق دنيا سندسية رائعة تتباهى وزرقة السماء .
هكذا أمست الامكانية العربية كالنهر ضليلا تجري في غير مجراها
الأصيل ، فكم هي تتشوق لأيد كريمة قاسية تميل بمجراها الى دنيا
الخصب والنماء ، حتى اذا خلقت نوابغ عظاما وعباقره أعلاما ، تقدموا برسالة
العرب الى الانسان الجديد .

أرأيت الى غدير يتدفق غزيراً من سفح جبل لا يعتمد عن سيف
البحر فرسخاً او فرسخين ، ويجري في منسرب واهد عميق كيف
يتحدر الى البحر مشيعاً بمسرات الزراع ؟ .
هكذا نحن طليع الجيل العربي الجديد ، ننظر الى ضياع الطاقة العربية
هباء منثوراً بأعين الزراع العاملين ، ونترصد الدوائر الساحقة تدور
بسواعدنا العاتية على اعدائها بالهلاك العاجل المبيد .



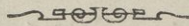
الزمن الوجداني

هب الحياة صحروات لا تموت آمادها ، والزمن كان قطاراً يسير في رحابها سيراً خاطفاً ، وكلما اجتاز امد صحراء سميت ماضيا ، ألا يعتبر الماضي بادراك الوجدان صوراً من الحياة تتراكم بالذاكرة الانسانية طباقا اذن هو ذكرى ، امتدادها في الحياة الواعية ، الرجعة اليها بصور ملائى بأطياف الغابر البعيد .

وكذلك يحسب المستقبل سيراً سرمدياً في اتجاه واهد الأبعاد ، امتداده في الحياه الكشف عن مطاوي الحياة ، اذن فهو تصور لوجود خيالي ، ينبثق عن الهام الماضي الغني بأحداث الحياة .
اما الحاضر ، فهو لحظات آنية دقيقة جدا ، تحيا بأنفسنا بسرعة النور وتموت بسرعة النور ، لذا كان شعوراً بامتداد الحياة بأنفسنا إلى أجل محدود ، يستحيل بالذاكرة الى صور شتى ، تنضم الى رصيد الماضي ثروة جديدة غنية بالتجارب .

هكذا الزمن بمعاشة الوجدان ، ذكرى وتصور وشعور ، ذكرى تقرب الأمس البعيد من اليوم الحاضر ، وتقذف بهما سوية باتجاه المستقبل المجهول ، فهو صورة للحياة السرمدية تسير الى غاية سامية ، هي الرقي الانساني ، ذلك أن الذكرى رجعة الى الغابر ، وفي الغابر عبر ، والتصور خلق مثالي ميدانه غيب المستقبل ، وفي المثال انسياق مع التطور التدريجي نحو التقدم والجنوح بالفكر الخيالي الى الابتكار والاختراع والابداع ، والشعور وعي للحاضر ، وفي الوعي نفوذ الى حقائق الحياة .

هكذا الزمن في إهاب الحياة ، زمن روحي ، عناصره الطور المثالي
والخلق الفكري ، قوامه القيم والمثل العليا ، المنبثقة من حركة الحياة
الاجتماعية ، والناشطة للأخذ بيد الانسانية رويداً الى ذرى التكامل الانساني .
وهذا الزمن الوجداني ، يسير بحياتنا نحن العرب ، سيراً متشابهاً وحركة
الحياة الكبرى ، لذا كانت حياتنا القومية حياة تذكيرية وتصورية وشعورية
تنشد التصاعد نحو القيم الحسنى والمثل العليا ، وتسير في اتجاه مصير
محتوم ، حتى اذا نالت من القيم والمثل قسطاً وافراً ، أشعرتنا أن
أن في أعناقنا للانسانية ديناً مقدساً هو الرسالة العربية الخالدة .
وكذلك اشعرت حركة الحياة الجاهلية آباءنا الاولين ، بأنهم
حملة رسالة انسانية فازدلفوا الى العالم القديم ، وكلهم قيم ومثل ومفاهيم
تلك هي شعلة الرسالة الخالدة عند العرب .
فاذا غدت دنيا العرب ملاءى بالقيم والمثل والمفاهيم ، اصبح بديهياً
أن تنجح الامة العربية في ظروف موالية الى حمل رسالتها الخالدة ، فان
كل أمة تاريخية حية مسيرة الى حقيقة ذاتها قسراً . وهكذا تسير
الامة العربية الى حقيقتها المطلقة ، الى الرسالة الخالدة . وتلك هي
حقيقة العرب !.



الرسالة الخالدة

ارأيت الى الرحالة الناشط لاكتشاف مجاهل الحياة ، يسبر اغواراً مجهولة القرار ، كيف يقف متأملاً كلما سبر غوراً واهداً ، حتى اذا ادرك كيف كان بطوي الأعماق طياً ، استشف آفاق الغيب ، وتنبأ بمصير رحلته ، حتى اذا عايشها بوجدان نزيه ، غدا مستقبله الجديد اشعاعاً حياً ، يشع من نفسه دفقة بعد اخرى ؟

هكذا سيقف طليع جبلتنا العربي متأملاً مطاوي التاريخ ، باعتباره انبثاقاً مبرراً عن جوهر العرب في شتى العصور ، حتى اذا ادرك كيف كانت الصيرورة التاريخية تنقل الذات العربية من حياة الفروسية والفتح الى حياة الحضارة والمدنية ، ومن ثم الى حياة الاستجمام الطويل ، وجد نفسه يحمل مستقبل الأمة العربية طوعاً او كرهاً ، واعتبر وجوده حصيلة حية مدركة انبثقت من وثبات الاجيال العربية الغابرة نحو الخلود ، واستطاع ان يتنبأ بمصير المستقبل العربي ، وان يتفهم سير تطوره العلوي ، ويتخيله كائناً حياً في عالم الوجود ، حتى اذا عايشه باستغراق وجداني ، استشف الدور الاول للرسالة العربية الخالدة بين الشعب ، وكشف عن سر العبقرية العربية . ذلك ان الرسالة العربية طاقية روحية تحيا كامنة بأنفسنا ، وإلهاب من نور سرمد يحتوي أنفسنا ، نتلمسه بالمعيشة الوجدانية الخالصة ، وتتوصل اليه بالمعيشة الحية الواعية ، فان لنا في كلا المعاشتين تفتحاً ثم وعياً وعملاً للحياة ، وان لنا في العمل تكويناً وتحقيقاً . وفي التحقيق خلق جديد ، وفي الخلق ارتفاع الى مصاف الانبياء ، وهنا تبلغ الرسالة العربية ذروة الاشعاع والاهب السخي .

فإن استطاع طليع جيلنا الواعي ان يستشف من اعماق نفسيته انواراً
من اهاب رسالته ، فخير من قلبه ودماعه وساعده يتابع العبقرية الهاجمة
في دواخل ذاته ، وتحسس قيمته ، واستوعب مسئوليته وجوده
ونشط للنضال الدائم ، وللعمل المنتج في بناء حضارة الجيل العربي الجديد .
فحقيق علينا نحن شباب العرب أن نفكر بأعمقنا تفكيراً صافياً ،
ونأمل وجودنا الغابر تأملاً نزيهاً ، لنهتدي الى قيمتنا كأمة حية بين
ضامة الانسانية ، ومن قدر قيمته منا حق قدرها ، باتت الحياه المثلى
في قبضة يده ، وغدا نواة صالحة في تربة الجيل العربي الجديد .



صوت من وراء البحار

من مهاجر العرب في البرازيل الى مصر

لقد كنت أشعر اني صدى لحن تائه رددته التاريخ منذ مئات السنين ،
كلما اجتاح فكري من صخب الحضارة وضوضاء الآلة تيار مادي ، وكان
ضميري يستفيق الي لحظات عابرة ، فاسمع له حسيماً خفيفاً كحسيس حشرة
تقتضم جزع شجرة ، كلما استجابت نفسي الى فكرة خطيرة ، تتنافر
واحكام القيم العربية الخالدة .

وما ان تواردت علي رسائلك تباطا ، حتى شعرت بانني عـربي ،
والعربي لحن خالد ثائر استمعت له الانسانية حيناً من الدهر . . . وها
هو يصغي الى كلمات الحضارة ، حتى اذا استوعب كلماتها الخالدة نهض للحياة
الصاعدة وقال كلمته الاولى !.

ولما تلقيت نبأ مصرع اللواء خلمته نميا آتيا من فجاج التاريخ . .
فتذكرت بأقصوة الفارس الجاهلي حينما أتوه بأخيه قتيلا ، فانتصب أمامه
واجماً يرنو اليه رنوات آسفة عابرة ، ثم استل حسامه وحقق به تحديقا
مستطيلا ، حتى اذا تحدرت من عينه دمعة صامئة كدمعة اسد جريح ،
مضي ينشد الثأر كئيباً كاسفاً .

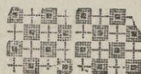
هذه نظرة الحياة الى الموت ، وهي تطوي نفسها بنفسها دائبة ، وتمضي
في جنونها المبدع ناشطة . فان لم ننظر الى مأساة اللواء تلك النظرة
القاسية الملهمة ، والى سيوفنا الف نظرة ونظرة ، فلن تمتد أيدينا الى
أعدائنا بضربة قاضية ، ولن نقوى على طي أعمارنا بابتسامة ساخرة ،
ذلك ان النظر الى مآسينا القومية بأحداق حادة نارية ، يجعلنا نستطيع

السمو على ذواتنا ، حتى اذا سمونا عليها سمواً كبيراً ، كابدنا عظمة
الخلود ، وكنا رجالاً عظاماً نظوي حياتنا بابتسامة هازئة ، ونسخر من
اعدائنا سخرية بالغة .

ولو انك يا مصير ! نظرت الى هواك نظرة هذا الجاهلي الى دم أخيه ،
إكان هيئنا عليك ان تلف أحلام فؤادك المكلوم بافترار ساخر ، وأن تقرر
مصيراً لنياز مروعا كمصير اللواء ، وان كانت ملكا ناعماً تؤذيها نفخة
واحدة من عبير ثقيل ..

. . .

إننا زوم لأولادنا امهات واعيات عنيفات يحملن تبعه وجودهن كنساء
عربيات ، حتى اذا غرسن بأنفس اطفالهن الحقد القومي ، تعلموا كيف
يضربون اعداء العرب ضرباً حاسماً قاضياً ، وتلك هي مزايا أجدادنا الاولين .



الرجعة الى المعاد

لنتساءل ما الذي يبعث العربي من مهجته ، ويرده الى معاد قيمه مؤمناً بنفسه ؟

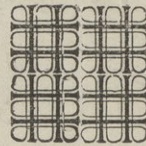
ان للايمان حياة حركية عنيفة ، تهز العواطف هزاً شديداً فتفتح للوجود والبذل والتضحية ، ولكنه تمثلك للمشاعر ، يقلص نفوذ الفكر ، ولا يخلق ابداعاً حارقاً ، بل ربما أمت الملكات المولدة ، وحده من طاقة المواهب الخالقة ، وأعاق سير التقدم الصاعد ، ذلك أنه لا يستقر بالأنفس الا احياء وتكراراً ، فيجعل الشعب كفيف البصر عن شخصيته ، ويجعل المجتمع آلة ضخمة تتحرك بلولب واحد ... فشر المجتمعات المجتمع الاضم الآلي .

فلن يبعث العربي من مهجته ويرده الى معاد قيمه الا ايمان حركي ايجابي مبدع ، لا يتبلور بقالب فكرة ضحلة قاصرة ، ليس لها جذور ثابتة في قرارة النفس العربية . ذلك ان للعربي فضيلة حية ، ما زالت تهجع في قراره ، هي الفردية الحرة . إن استفاق لها عمر استفاقت له دهرها ، وارتعته بأجل القيم الذاتية شأناً ، حتى اذا آمن كان ايمانه ذاتياً مبدعاً ، يقصيه عن سحر الايمان الايجابي الرائج .

ولو ان العربي يشعر بفرديته شعوراً قوياً ، لكانت القيم الاجتماعية الصارمة طيمة لوجدانه ، فيغدو ، وهو يعايش قوميته ، ذاتياً اجتماعياً بقيمه ، فردياً بمشاعره وعواطفه ، يتحسس الواجب بدافع وجداني ، ويتقدم للتضحية جباراً ذاتياً كالطود متسامياً بين الأطواد . ذلك ان الفردية اليفة معايشة الوجدان ، وفي الألفة اطمئنان للضمير ، وهروب من الشك ،

واقتراب من اليقين . وفي كلا أختاتين سعادة للقلب الكبير ، والسعادة
ديدن الانسان .

فاذا عايش الشعب أساطيره، وتأمل مصارع أبطاله، تفتحت فريته لقيم
البطولة، وتنبأ لحمل رسالته الخالدة، حتى اذ اخذ باسباب الحضارة الحديثة
كان ديدنه الوحيد الاخذ بنصاية الانسانية الى انسانيته، فيستبين بالموت
ويتسنى قمة الغيرية مطمئناً راضياً . ذلك ان له بالغيرية سعادة روحية،
وفي هذه السعادة دنو من مراتب العظمة، وهنا ينشد الرب سعادته في
تأدية رسالته . وتلك لمعري هي سعادة الأنبياء ! .



الميتة الموحشة

من مرابط لوائي الى «مصير»

منذ ايام خلت من عمر الزمان ، وصديقك (عامر) فريسة لمناسر
داء قاتل يصارعه دائماً، حتى اذا انتزع منه جذوة الحياة ، كنت اساهر مأساته
كئيباً شجياً ، واصفي الى كلماته الأخيرة بحسرة جريحة واسى مرير .
وكأني أراه ، وشبح الموت يظلل وجهه الضامر بأجنحة الشحوب ،
وغمرة الاحتضار تثقل أجفانه ، وتكسر اهدابه ، فتغيب صفوه عينيه،
وهو مستلق على ظهره مهدوء يحلم بظلمة القبور ، وينتظر دنو المنيمة من ساعة
لى اخرى . حتى اذا أخذ الموت يشل جسده عضوا عضوا ، يتقن أنه هالك...
ناداني اليه مذعوراً كالطفل ينادي أباه .

وكأني به وأنامله الهزيمة تلامس كفي بارتعاش ، وهو يلقي عليّ
كلماته الشجية بصوت مختلج كان يتسرب الى اذني أحياناً حزينة باكية :
أواه ! ! من لي بعين عبرى ترتعش لمشهدي محتضراً . . . وآهة
حرى تشيع روحي الى انحاء حتى تبلغ الملاء الأعلى ، فاني لهلوع من الموت
غريباً وأود أن أفارق الحياة تحت سماء اللواء ، وأن تلحد عيني بحفنة
من تراب وادي العاصي . . . ولكن هكذا شاءت الأقدار أن أعاني
سكرات الموت بعيداً . . .

وصمت صمتاً مديداً ، وأغمض عينيه بسكون حالم . كأنما آخى بروحه
الى دنيا الوطن يودع مراتع طفولته وذكريات شبابه ومغاني أهله الوداع
الأخير . ثم فتح أجفانه باعياء، فاذا هي تهلل بعبرات مرتعشات ، كالزهرة

الذابلة ، تضطرب بقطرات الندى . . . وما أن عاوده الكلام حتى قال بصوت جريح : رباه ! سامح مصير . . . إنه أوقد في نفسي ضرام حنين ملتانع الى دنيا العرب ودنيا اللواء ، وحلني من شقاء الوطن ما لا أطيق ومشعل حياتي آخذ بالانطفاء .

رباه ! من لي بميتة في غرفتي الهادئة . . . أرنو من النافذة الى العاصي رنوة مودعة ، حتى تنسل روحي من جسدي رويداً رويداً ، فأغمض أجفاني الغمضة الأبدية على أطيف ذكرياتي الهاجعة تحت ظلال الزيفونة الهرمة ، فاني لنواق الى روع الوادي والى حقـول العاصي . ولكن هكذا ارادت الأقدار أن أموت ميتة موحشة محزنة .

رباه ! كم كنت أود أن أرى دموع أمي تتساقط على خدي دمة قدمة . فاني لمشوق الى حنان بريء . . . فأين أنت يا أماه . . . وهنا سكت سكوتا طويلا ، وشخص بصره للسماء جامداً ، واهتز مختلجاً فظننته فارق الحياة قلقلًا مضطرباً ، حتى اذا دنوت منه سمعته يقول بصوت واهن كالأنين :

رباه . . . أين أنا ؟ أهنا . . . انطاكية . . . هي .. غرفتي ، هي أمي .. رباه ابن مصير . . . ؟ وصمت مبتسماً ابتسامة وادعة راضية ، وارسل من قلبه النسيمة الأخيرة مطمئناً هادئاً كأنه يعيش حاملاً رائعا لذيدا .



أعود.. غازيا!

لنعد الى مصير ، حيث تركناه في حديقة الشهبندر يستعرض أطياف
ذكرياته بشرود ، لنجده الآن جليس شاب تركي وسيم أتاه رسولا
يحمل كتابا من نياز وآخر من والدها تيمور، وهو ينتظر الجواب، ومصير
يقرأ الكتاب بحسرة مريرة فارية ، والعرق يتنزي من جبينه باردا كلما
قرأ سطرا صارخا يختلج بشعور حي ، حتى أتى على قولها « رحماك . .
عد الي ترني لك قلبا علويا تجمعت فيه رحمة السماء ،
وجب قلبه وارتعش واختلج ، وشرد فكره في دنيا نياز وكاد يغيب ...
ثم أرسل الى السماء نظرة حيرى وتنهذ زافرا ، وتابع قراءة الكتاب ببطء
وتوان، حتى انتهى منه كئيها ، رنا اليه رنوة الحب اليأس ، واطرق مفكرا
والأسى يراوده على العبرات . وهذا هو الكتاب .

اي مصير . . . من هذا الوجيب الخفاق استشف سواد نواياك ، فلم
هي مظلمة كجنة ليل بهيم ؟ وعهدي بها صافية كزرقة السماء، أتريد ان
اضرب شغاف قلبي شطر السلوان الأبدى ؟ أو اه لا أستطيع وأنا اراك
في وجودي المجدب روضاً رائعاً خلويا أقام في جزيرة قاصية ، والبحر من
دونها هائج عرييد . .

فكيف الوصول اليك وشراعي جنوح لا يقتحم صخب الأمواج ، ولا
يصارع تيار الانواء ومجداني محظم لا يشق عباب المياه ، ولكن ديدني
الوصول اليك ، تلك هي مأساتي في الحياة .

يامصير أمسي الجميل اليس الأمس كالיום ليلا ونهاراً ، فلم يومي ليل
سرمد بهيم ؟ عد الي بقلبك في الأمس ترني لك قلبا علويا ، تجمعت فيه

رحمة السماء ، علي أرى يومي بهجا كأمس القريب ، عد الي عودة الجندي
الي امه بعد سفر في مجاهل الأيام، ترني لك قلباً كبيراً تعلم فيه حنان
الأمهات . او أوميء الي من بعيد أحب اليك حبو الطفل الرضيع الي ثدي
أمه وهو فرح سعيد .

اي مصير ! ماذا علي من جرم اذا كانت الأقدار اوصيتني بحمي هواء ،
وأنت موصب بحمي عروبتك ، كلانا ذلك الموصب المحموم ، كلانا العوبة بيد
القدر ، أستطيع دفعاً لجنون الأقدار؟ لا وعينيك ! فلم هجرتني يامصير ،
وتركتني كابية في معائر دنياك فرحة بي وشفقة علي .. عد الي مهرعا ترني
بانتظارك لهيفة صباح مساء .

وما ان انتفض مصير من شروده المفكر ، حتى نظر الي الرسول نظرة
عاطفية حزينة كأنه ينظر الي نياز ، وتناول القلم وحدق به بطرف اخرس ،
كما يحرق المنتحر برأس خنجره ، وكتب في آخر الكتاب .. وقلبه خفاق ،
وكفه ترتجف كأن بها مسا من الجن :

« لن أعود ! .. »

ودفع بالكتاب الي الرسول باطرافه خجول ، وتناول كتاب تيمور ،
وفض غلافه هادئاً وراح يقرأ ... وهذا هو الكتاب :

« ولدي مصير ! منذ رأيته أول مرة ، توسمت بك النبيل الرفيع ، وبدأ
لي من خلال حديثك انك بدوة من طيش جامع تمنح الي التطرف ، فخرت
نياز من الاسترسال معك الي حد بعيد ، فما كانت لترعوي ، فتنبأت لها بمصير
أسود عديم ، ذلك اني كنت اعتقد اعتقاداً لا مرمي فيه ، انه سيأتي
علي اللواء يوم تاريخي ، فيه يغشى بصيرتك الحقد القومي ، فياعد بينك وبين
التفكير الهاديء بأمر نياز ، وتغادر اللواء حانقاً غاضباً .

لك أن تغضب .. وان تتوقد غيظاً كرجل غاب علي أمره ، ولكن ليس
عليك ان لاتهم بأمر نياز ، ولي ان ادعوك الي التفكير المجرد من
رعونة الأحقاد ، وليس ذلك بأمر نياز خصب ، بل بأمر مستقبلك أنت .

«ولدي مصير! فكر كثيرا، ماذا ترى لك من حياة ان ظلت بعيدا،
غير حياة تشرد وحياة شقاء؟ هذا اذا كان جدك عاثرا كاليا ، اما اذا
الوى عليك التوفيق برحمته، فليس لك سوى حياة الكفاف... حياة الجحيم والعذاب
«ولدي مصير ان قصرك لم تمسه يد غاصبة بعد ، ومزرعتك لم ترقم
بشارة الحجز ، ونياز ما زالت بانتظارك زوجة فاضلة ، وأنت أدري
بنياز... هذا ان كان طموحك محدودا ، أما اذا كنت ذا طموح بعيد،
فإن لك عندنا مجال المستقبل فسيحاً، وليس ذلك في اللواء بل بسائر أنحاء
تركيا !

«ولدي مصير ، انك لعل ذكاء لامع وقاد ، فحرام عليك أن تقتل
شبابك متشردا طريدا ، وأن تطفئ شعلة ذكائك بيدك . . . عد اليما
مسرعا ترني لك أباً جديدا» .

* * *

وما أن انتهى من قراءة الكتاب حتى طوى ما فيه من أمان مشرقة
وأحلام زاهية بابتسامة ساخرة ، وكتب بآخره هذه العبارة .
سوف اعود غاليا ان استطعت ، وان لم استطع فولدي ، وان لم
يستطع خفيدي... تلك هي مهمة الجيل العربي الجديد ! .

مصير



كتب المؤلف

أنا وأنت

مصراع اللواء

قريبا
يصدر كتاب
في الاعماق

للقصصي الامتاز مراد السباعي
مجموعة نادرة من روائع القصص

Library of



Princeton University.

Princeton University Library



32101 072235524